أحلام فترة النقاهة

نجيب محفوظ

أحلام فترة النقاهة

حلم 1

اسوق درجاتي من ناحية اخرى مدفوعا بالجوع ، باحثا عن مطعم مناسبا لذوى الدخل المحدود ، ودائما أجدها مغلقة الأبواب ، و حانت مني التفاتة لساعة الميدان ، فرأيت اسفلها صديقي ، فدعاني بإشارة من يده ، فملت بدراجتي نحوه ، وإذا به على علم بحالي فاقترح عليّ أن أترك درجاتي معه ليسهل عليّ البحث ، فنفذت اقتراحه ، وواصلت البحث وجوعي يشتد ، وصادفني في طريقي مطعم العائلات ، فبدافع من الجوع واليأس اتجهت نحوه على الرغم من علمي بارتفاع أسعاره ، ورآني صاحبه وهو يقف في مدخله أمام ستارة مسدلة ، فما كان من إلا أن أزاح الستارة فبدت خرابة ملأى بالنفايات في وضع البهو الفخم المعد للطعام ، فقلت بانزعاج : ماذا جرى ؟

فقال الرجل : أسرع إلى كبابجي الشباب لعلك تدركه قبل أن يشطّب ، ولم أضيع وقتا فرجعت إلى ساعة الميدان ولم أجد الدراجة والصديق ..

حلم 2

دخلنا الشقة .. الفتاة فى المقدمة وأنا فى أثرها والبواب يتبعنا حاملا الحقيبة، الفتاة على صلة بى مؤكدة وكأنها ولكنها غير محددة. تركنا ترتيب الأشياء ودلفت إلى الشرفة المطلة على البحر سابحا فى آفاقه غير المحدودة منتعشا بهوائه الرطيب منتشيا بهديره المتقطع، وإذا بصرخة تنطلق من الداخل فهرعت نحوها فرأيت الفتاة منكمشة مذعورة والنار تشتعل فى أعلى الباب. وقبل أن أفيق من الصدمة دخل رجل صلب الملامح كأنما قدت من صخر وبإشارة من يده أنطفأت النار وتحول ذاهبا وهو يقول :ربما انقطعت المياه بعض الوقت، وغمرني الارتياح فلم أبال بشيء ، غادرت الحجرة قاصدا السوبر ماركت لأبتاع بعض التموين المناسب.. ولما رجعت وجدت باب الشقة مفتوحا والبواب واقفا فدخلت إلى الحجرة قلقا فوجدتها عارية إلا من بقجة منتفخة بالملابس ملقاة على الارض وذراع بيجامتى يتدلى من فتحة فى رابطتها ولا أثر للفتاة فسألت : ماذا جرى ؟ - أجابنى البواب حضرتك أخطات الطريق وهذه ليست شقتك فأشرت إلى ذراع البيجاما وقلت :هذه بيجامتى ، فقال الرجل

بهدوء :يوجد من نوعها آلاف فى السوق . وملت إلى الاعتقاد بالخطأ متذكرا أنه توجد ثلاث عمارات متشابهة فى صف واحد وهبطت السلم بسرعة وفى الطريق رأيت الفتاة فى طرفه المفضى إلى ميدان مكتظ بالسيارات والبشر، فجريت نحوها حتى أدركها قبل أن تذوب فى الزحام .

حلم 3

هذا سطح سفينة يتوسطه عامود مقيد به رجل يلتف حوله حبل من أعلى صدره حتى أسفل ساقيه وهو يحرك رأسه بعنف يمنة ويسرة ويهتف من أعماقه الجريحة : متى ينتهى هذا العذاب؟

وكان ثلاثتنا ينظرون إليه بإشفاق ويتبادلون النظر فى ذهول ، وتساءل صوت :من فعل بك ذلك؟

فأجاب الرجل المعذب ورأسه لا يكف عن الحركة : أنا الفاعل .

ـ لماذا ؟

ـ هو العقاب الذي استحقه .

ـ عن أي ذنب ؟

فصاح بغضب : الجهل .

فقلت له :

عهدنا بك ذو حلم وخبرة . جهلنا أن الغضب استعداد فى كل فرد .

وارتفعِ صوته وهو يقول : وجهلت أن أى أنسان لا يمكن أن يخلو من كرامة مهما يَهُن شأنه .

وغلبنا الحزن والصمت.

حلم 4

بهو مترامى الأركان ، متعدد الأبواب ، خال من كل شيء ، فوقف ثلاثتنا فى ركن مكنون ، صاحباى يرفلان فى كامل حليتهما حتى رباط العنق على حين اكتفيت أنا بالجلباب المغربى ودون شعور بأى حرج لشدة الألفة التى تجمعنا، سمعت حركة، نظرت فرأيت رجلا لا أدرى من أين جاء فى ملابس رسمية توحى بأنه ممن يشرفون على الحفلات تلففت فى جلبابى وقلت لصاحبي : أخاف ان يقام حفل !

فقالا بالتتابع :

- لا أظن .

- لا أهمية لذلك .

وجدت حركة أخرى فنظرت فرأيت رجلين مماثلين للأول قد انضما إليه فزال كل شك وهربت إلى أقرب باب وفتحته وكأنى وجدت وراءه سداً من جدار البهو ، فكررت المحاولة مع الأبواب جميعا وخاب مسعاى كالمرة الأولى رجعت إلى صاحبىّ واندسست بينهما كأنما أستتر بهما .

وطمأننى بعض الشئ أن الرجال الثلاثة لم يعيرونا أى التفات .

وتتابعت الحركات وانهمر سيل من المدعوين من كافة النواحى .

وأخذوا يملأون المكان دون أن ينظر نحونا أحد مركزين أبصارهم فى ناحية واحدة فلم نملك إلا أن نفعل فعلهم ، وبدأ فجأة شخص جليل فى هيئة الزعامة فتعالت قعقعات الهتاف ، وكلما تقدم الرجل خطوة اشتد الهتاف ولكنهم حذروه فى الوقت نفسه من السير نحو الباب الذى بدا أنه يقصده وقلت لصاحبى : سيفتح الباب عن سد لا منفذ فيه .

وتقدم الزعيم وسط هتاف متصاعد وتحذير مستمر حتى فتح الباب ودخل مختفيا عن الأنظار .

أسير على غير هدى, وبلا هدف, ولكن صادفتني مفاجأة لم تخطر لي في خاطري, فصرت كلما وضعت قدمي في شارع انقلب الشارع سيركا .

اختفت جدرانه وابنيته وسياراته والمارة, وحل محل ذلك قبة هائلة بمقاعدها المتدرجة وحبالها الممدودة والمدلاة وأراجيحها وأقفاص حيواناتها, والممثلون والمبتكرون والرياضيون حتى البلياتشو ، وشد مادهشت وسررت وكدت اطير من الفرح, ولكن بالانتقال من شارع الى شارع, وبتكرار المعجزة, مضى السرور يفتر والضجر يزحف, حتى ضقت بالمشي والرؤية, وتاقت نفسي للرجوع الى مسكني, ولكم فرحت حين لاح لي وجه الدنيا وآمنت بمجئ الفرح, وفتحت الباب, فاذا بالبلياتشو يستقبلني مقهقها .

حلم 6

رن جرس التليفون وقال المتكلم : الشيخ محرم أستاذك يتكلم .

فقلت بأدب وإجلال : أهلا أستاذي وسهلا ..

- إني قادم لزيارتك .

- على الرحب والسعة .

لم تمسني أية دهشة علي الرغم من أنني شاركت في تشيع جنازته منذ حوالي ستين عاما وتتابعت علي ذكريات لاتنسي عن أستاذي القديم في اللغة والدين وما عرف عنه من وسامة الوجه وأناقة الملبس ، إضافة إلى شدته المتناهية في معاملة التلاميذ وجاء الشيخ بجبته وقفطانه الزاهيين وعمته المقلوظة وقال دون مقدمات: هناك عايشت العديد من الرواة والعلماء ومن حواري معهم عرفت أن بعض الدروس التي كنت ألقيها عليكم تحتاج الي تصحيحات فدونت التصحيحات في الورقة وجئتك بها .

قال ذلك ثم وضع لفافة من الورق علي الخوان وذهب .

حلم 7

ياله من ميدان مترامي الاتساع مكتظ بالخلق والسيارات. وقفت علي طوار المحطة انتظر مقدم الترام رقم 3 والوقت قارب المغيب.. اريد العودة الي بيتي علي الرغم من انه لاينتظرني احد. ويهبط المساء وتغلب الظلام علي اضواء المصابيح المتباعدة وشعرت بوحشة وتساءلت عن اخر الترام رقم 3 ؟ جميع الترامات جاءت وحملت من المتنظرين من حملت ولكن لا أدري ماذا حصل للترام 3. خفت حركة

الميدان وقلت مرور السبلة حتي كدت اتركه وحيدا في المحطة في ميدان خال انتظر تراما لايجيء وسمعت صوتا خفيضا فنظرت فرأيت علي مبعدة يسيرة فتاة ينطق مظهرها بأنها من بنات الليل فازداد شعوري بالوحشة واليأس وسألتني

اليست محطة الترام رقم 3؟

فأجبت بالايجاب وفكرت في مغادرة المحطة واذا بالترام رقم 3 يقترب في هدوء ولا احد فيه سوي السائق وقاطع التذاكر، وشيء من داخلي دعاني الي عدم الركوب فوليت الترام ظهري ولبثت علي حالي حتي غادر الترام المحطة. ونظرت فرأيت الفتاة بموقفها ولما شعرت بعيني ابتسمت وسارت نحو اقرب منعطف فتبعتها علي الأثر ..

حلم 8

عندما اقبلت علي مسكني وجدت الباب مفتوحا علي ضلفتيه علي غير عادة وجاءتني من الداخل ضوضاء واصداء كلام. دق قلبي متوقعا شرا ، ورأيت من أبابي ابتسامات مشفقة ، وسرعان ما عرفت كل شيء ، خلت الشقة من الاثاث الذي كوم في ناحية داخل المكان.. عمال من متفاوتي الاعمار،

منهم من دهن الجدران ومنهم من يعجن المونه ومنهم من يحمل المياه.. وهكذا نفذت المكيدة في اثناء غيابي وذهبت توسلاتي في الهواء.

وهل أطيق هذا الانقلاب وانا علي تلك الحال من الارهاق؟

وصحت بالعمال: من اذن لكم ذلك، ولكنهم استمروا في عملهم دون ان يعيروني اي اهتمام وقهرني الغضب فغادرت الشقة وانا اشعر بأنني لن ارجع اليها مدي عمري وعند مدخل العمارة رأيت أمي مقبلة بعد رحيلها الطويل وبدت مستاءة وغاضبة وقالت لي : أنت السبب فيما حصل !

فثار غضبي وصحت : بل أنتِ السبب فيما حصل وما سوف يحصل ..

وسرعان ما اختفت وأمضت في الهرب .

حلم 9

علي أريكة في حديقة المنزل الصغيرة ، جلست أختي تتأمل ضفدعا يسبح في القناة التي تروي الحديقة ، وانتشيت بالنسيم الرقيق وعناقيد العنب المدلاة من التكعيبة .

وسألت أختي : ماذا تنتظرين؟

وقبل أن تجيبني قلت : من الأفضل أن نجلس في الحجرة

لنسمع الفونوغراف وتبادلنا نظرة اختيار ثم انتقلنا الي الحجرة وازداد الجو صمتا وحتي

النسيم لم يعد معنا .

ونظرت إلى أختي فإذا بها قد تحولت إلى الممثلة السينمائية جريتا جاربو وهي ممثلتي المفضلة وطرت من السعادة بغير أجنحة .

وملأ السرور جوانحي ، غير أن هذا السحر لم يدم طويلا ، وأرادت أن أستعيد المعجزة مرة أخرى لكن أختى رفضت الذهاب معي ، فسألتها عن سبب الرفض فقالت : أمي .

فقاطعتها قبل أن تتم عبارتها : إنها لا تدري .

فقالت بيقين : إنها تدري بكل شيء .

وشعرت بأن الحزن غشى كل شيء كأنه شابورة مفاجئة .

حلم 10

جمعتنا الصداقة والنشأة وتواعدنا في تلك الحارة وذيول الليل تهبط ولا هدف لنا إلا الانشراح باللقاء والاستسلام للمزاح والضحك علي طريقة القافية .

وتبادلنا النكات وأخذنا نتحول الي أشباح في الظلام وتعارفنا بأصواتنا ولم نكف عن المزاح والقافية وانطلقت قهقهاتنا

ترج الجدران وتوقظ النيام. الحارة متعرجة ونحن نتقارب حتي لا نذوب في الظلمة وكلما تمادينا في الحيرة غالينا في الضحك وبدأنا نتساءل حتي نجد خلاصنا في ميدان او شارع كبير .

وذكرنا أحدنا بأن الملكة الفرعونية التي أرادت الانتقام من الكهنة الذين قتلوا زوجها دعيتهم إلي مكان يشبه هذا الذي يتخبطون فيها وسلطت عليهم المياه وما كاد يفرغ من حكايته حتي هطلت السماء علينا بقوة غير معهودة وأسكتتنا الرعد ومضت المياه ترتفع حتي غطت اقدامنا وزحفنا علي سيقاننا وشعرنا بأننا نغرق تحت المطر في ظلمة الليل ونسينا نكاتنا وضحكاتنا ولم يعد لنا من أمل في الخلاص إلا أن نطير في الفضاء .

حلم 11

في ظل نخلة علي شاطيء استلقت علي ظهرها امرأة فارعة الطول ريانة الجسد، وكشفت عن صدرها ونادت يزحف نحوها أطفال لايحصرهم العد. وتزاحموا علي ثدييها ورضعوا بشراهة غير معهودة وكلما انتهت جماعة أقبلت أخري وبدا أن الامر أفلت زمامه وتمرد علي كل تنظيم. وخيل إليّ أن الحال تقتضي التنبيه أو الاستغاثة ولكن الناس

يفطون في النوم علي شاطيء النيل . وحاولت النداء ولكن الصوت لم يخرج من فمي وأطبق علي صدري ضيق شديد . أما الأطفال والمرأة فقد تركوها جلدة علي عظم ولما يئسوا من مزيد من اللبن راحوا ينهشون اللحم حتي تحولت بينهم إلي هيكل عظمي . وشعرت بأنه كان يجب علي أن أفعل شيئا أن أكثر من النداء الذي لم يخرج من فمي وأذهلني ان الاطفال بعد يأس من اللبن واللحم التحموا في معركة وحشية فسالت دماؤهم وتخرقت لحومهم . ولمحني بعض منهم فأقبلوا نحوي أنا لعمل المستحيل في رحاب الرعب الشامل .

حلم 12

في الجو شيء مثير للأعصاب ، فهو من عدة نواح تبرز رءوس وتختفي بسرعة . وجرت شائعة مثل الشهاب تنذر بوقوع الحرب . وترددت كلمة " الحرب " على الألسنة ، وعمت الحيرة والانزعاج ورأيت من يحمل تموينا لتخزينه . وجعلت أتذكر تلك الأيام المكدرة ، هل نبقى أم نهاجر ؟ ولكن إلى أين؟

ولذت بمقر المكان الآمن من الخطر وجاء رجل من الأمن وقال صراحة : إن الدولة تريد أن تعرف طاقة الأسر على

إيواء من يحتاجون إلى إيواء لا سمح الله . وتضاعف الاضطرابات وأعلنت أمي وهي تعيش وحدها في بيت كبير أنها على استعداد لإيواء أسرة كاملة . أما أنا فوجدت أننا يمكن الاستغناء عن حجرة واحدة تسع لشخصين وأصبحت حذرا عند سماع أي صوت أو الإجابة على أي سؤال وطرق ببابي مخبر ودعاني إلى القسم ولما سألته عن سبب الاستدعاء أجاب بخشونة أنه لا يعرف وقطع حديثنا انطلاق سفارة الإنذار .

حلم 13

هذا هو المطار. جوه يموج بشتى الأصوات واللغات . وكن قد فرغن من جميع الاجراءات ووقفن ينتظرن . اقتربت منهم وقدمت إلى كل منهن وردة في قرطاس فضي وقلت :

مع السلامة والدعاء بالتوفيق

فشكرنني باسمات وقالت إحداهن .

إنها بعثة شاقة ونجاحنا يحتاج إلى أعوام وأعوام .

فأدركت ما تعني وغمر الألم قلبي وتبادلنا نظرات وداع صامتة ولاحت لأعيننا مرات الزمان الأول .

وتحركت الطائرة وجعلت أتابعها بعيني حتى غيبها الأفق .

وحال عودتي إلى بهو المطار لم أعد أذكر إلا رغبتي في الاهتداء إلى مكتب البريد .

وكأنني ما جئت إلا لهذا الغرض وحده . وسمعت صوتا يهمس : أنت تريد مكتب البريد؟ فنظرت نحوه ذاهلاً فرأيت فتاة لم أرها من قبل فسألتها عن هويتها فقالت بجرأة :

أنا بنت ريا . لعلك مازلت تذكر ريا وسكينة ؟

فقلت وذهولي يشتد :

. إنها ذكرى مرعبة

فرفعت منكبيها وسارت وهي تقول :

إن كنت تريد مكتب البريد فاتبعني . فتبعتها بعد تردد غاية في العنف .

حلم 14

تريضت على الشاطئ الأخضر للنيل ، الليلة ندية والمناجاة بين القمر ومياه النهر مستمرة تشع منها الأضواء هامت روحي حول أركان العباسية المفعمة بالياسمين والحب ووجدت نفسي تردد السؤال الذي يراودها بين حين وآخر

لماذا لم تزرني في المنام ولو مرة واحدة منذ رحلت على الأقل لأتأكد من أنها كانت حقيقة وليست وهما من أوهام المراهقة . وهل الصورة التي طبعت في خيالي هي الصورة الحقيقية للأصل . وإذا بصوت موسيقى يترامى إلي من ناحية الشارع المظلم صارت أشباحا ثم تجلت مع ضوء أول مصباح صادفها في طريقها ، أدهشني أنها لم تكن غريبة علي في الموسيقى النحاسية التي كثيراً ما استمعت إليها في صباي ورأيتها تتقدم بعض الجنازات وهذا اللحن أكاد أحفظه حفظا ، أما المصادفة السعيدة غير المتوقعة فهي أن حبيبتي الراحلة تسير وراء الفرقة هي هي بطلعتها البهية ومشيتها السنية وملامحها الأنيقة ، أخيراً تكرمت بزيارتي وتركت الفرقة الجنائزية تسير ووقفت قبالتي لتؤكد لي أن العمر لم يضع هدراً . وقمت واقفاً منبهراً وتطلعت إليها بكل قوة روحي وقلت لنفسي إن هذه فرصة لا تتكرر . لألمس حبيبة القلب .

وتقدمت خطوة وأحطتها بذراعي ولكني سمعت طقطقة شيء يتكسر وأيقنت أن الفستان ينسدل على فراغ وسرعان ما هوى الرأس البديع إلى الأرض وتدحرج إلى النهر وحملته الأمواج مثل ورد النيل تاركة إياي في حسرة أبدية !

حلم 15

بهو رصت علي جوانبه المكاتب.. إنه مصلحة حكومية أو مؤسسة تجارية والموظفون بين السكون وراء مكاتبهم أو الحركة بين المكاتب.

وهم خليط بين الجنسين والتعاون في العمل واضح والغزل الخفيف غير خاف وأنا فيما بدا من الموظفين الجدد ومرتبي علي قد حاله وشعوري بذلك عميق ولكنه لم يمنعني من طلب يد فتاة جميلة وهي كموظفة أقدم وأعلي. والحق أنها شكرتني ولكنها اعتذرت عن عدم الاستجابة لطلبي قائلة:

لا نملك ما يهيئ لنا حياة سعيدة

وتلقيت بذلك طعنة نفذت إلي صميم وجداني.

ومن يومها تحسبت مفاتحة أي زميلة في هذا الشأن علي الرغم من إعجابي بأكثر من واحدة وعانيت مر المعاناة من العزلة والكآبة.. وألحقت بالخدمة فتاة جديدة فوجدت نفسي في مكانة أعلي لأول مرة فأنا مراجع وهي كاتبة علي الآلة الكاتبة ومرتبي ضعف مرتبها إلا أنها لم تكن جميلة بل الأدهي من ذلك أني سمعت همسا يدور حول سلوكها وبدافع من اليأس قررت الخروج من عزلتي فداعبتها فإذا بها تداعبني، ومن شدة فرحي فقدت وعيي وطلبت يدها وقالت لي:

آسفة!

فلم أصدق أذني وقلت وأنا أتهادي

مرتبي لا بأس به بالإضافة إلي مرتبك.

فقالت بجدية:

المال لا يهمني

وهممت أن أسألها عما يهمها ولكنها ذهبت قبل أن أنطق..

حلم 16

هنأني الطبيب المساعد على نجاح العملية .. عقب إفاقتي من التخدير أشعر بارتياح عميق وبسعادة النجاة الصافية . دخلت الحجرة فجاءت الممرضة بكرسي وجلست مقتربة برأسها من رأسي تأملتني مليا ثم قالت لي بهدوء شديد :

طالما كانت أمنيتي أن أراك راقدا بلا حول ولا قوة :

فنظرت إليها بدوري وقلت لها في ذهول : ولكني أراك لأول مرة في حياتي فلماذا تتمنين لي السوء؟

فقالت باحتقار وحقد : جاء وقت الانتقام

وقامت وغادرت الحجرة تاركة إياي في دوامة من الحيرة

والقلق والخوف ، كيف تتصور تلك المرأة أنني أسأت إليها على حين أنني أراها لأول مرة في حياتي وجاء الطبيب الجراح ليلقى علي نظرة فتشبثت به قائلا:

أدركني يا دكتور فإن حياتي في خطر

فأصغى إلي وأنا أقص عليه ما جرى وأمر بعرض الممرضات المكلفات بالخدمة في العنبر علي ولكنني لم أعثر على الممرضة بينهن

وغادرني الدكتور وهو يقول :

أنت هنا في كامل الرعاية

ولكن صورة الممرضة لم تفارقني

ولم تغب عني الوساوس وكل من دخل الحجرة نظر إلي بغرابة كأنني أصبحت موضع تساؤل وشك وتراءى أمام عيني طريق طويل مليء بالمتاعب .

حلم 17

تواصلت أحياء الجمالية والعباسية وأنا أسير وكأننى أسير فى مكان واحد. وخيل إلىّ أن شخصا يتبعنى، فالتفت خلفى ولكن الأمطار هطلت بقوة لم نشهدها منذ سنين ورجعت إلى مسكنى مهرولا. وشرعت أخلع ملابسى ولكن شعوراً غريبا

اجتاحنى بأن شخصا غريبا مختف فى المسكن، واستفزنى استهتاره، فصحت به أن يسلم نفسه وفتح باب حجرة الاستقبال، وبرز رجل لم أر مثيلا فى مساحته وقوته وقال بهدوء وسخرية "سلم أنت نفسك".

وملكنى إحساس بالعجز والخوف وأيقنت أن ضربة واحدة من يده كفيلة بسحقى تماما أما هو فأمرنى بتسليمه محفظتى ومعطفى وكان المعطف يهمنى أكثر ولكنى لم أتردد إلا قليلا وسلمته المعطف والمحفظة.. ودفعنى فألقانى أرضا. ولما قمت كان قد اختفى وتساءلت هل أنادى وأستغيث

ولكن ما حدث مهين ومخجل وسيجعلنى نادرة ونكتة فلم أفعل.

وفكرت فى الذهاب إلى القسم ولكن ضابط المباحث كان من أصحابى وستذاع الفضيحة بطريقة أو بأخرى

وقررت الصمت ولكنى لم أسلم من الوساوس.

وخفت أن أقابل اللص فى مكان ما وهو يسير هانئا بمعطفى، ونقودى.

حلم 18

وتم مجلسنا على الجانبين في القارب البخاري .

بدا كل واحد وحده لا علاقة له بالآخرين وجاء الملاح ودار الموتور . الملاح فتاة جميلة ، ارتعش لمرآها قلبي . أطلت من النافذة وأنا واقف تحت الشجرة وكان الوقت بين الصبا ومطلع الشباب ، وركزت عيني رأسي في رأسها النبيل وهي تمرق بنا في النهر وتتناغم خفقات قلبي مع دفقات النسيم وفكرت أن أسير إليها لأرى كيف يكون استقبالها لي .

لكني وجدت نفسي في شارع شعبي لعله الغورية وهو مكتظ بالخلق في مولد الحسين ولمحتها تشق طريقها بصعوبة عند أحد المنعطفات فصممت على اللحاق بها .

وحيا فريق من المنشدين الحسين الشهيد .

وسرعان ما رجعت إلى مجلسي في القارب وكان قد توغل

في النهر شوطا طويلا . ونظرت إلى مكان القيادة فرأيت ملاحا عجوزا متجهم الوجه . ونظرت حولي لأسأل عن الجميلة الغائبة ولكني لم أر إلا مقاعد خالية .

وقمت لأسأل العجوز عن الجميلة الغائبة .

حلم 19

انبهرت بالشقة الجديدة بعد تسلمها ، ففحصت كل موضع بنظراتي ، امتلأت جوانحي بالسعادة وقلت لنفسي من الآن يحق لي أن أشغل وظيفة وعلي أن أسعى إليها دون تأخير .

وذهبت إلى السوق ، المكان واسع المساحة مسور بسور من البناء المتين ، وأظهرت أوراق ملكية الشقة فسمحوا لي بالدخول .

المكان مكتظ بالخلق ، لمحت وجوها أحببتها كثيرا ولكنهن جميعا كن متأبطات أذرع رجالهن ، وذهبت إلى النافذة المقصودة وقدمت أوراقي وفي مقدمتها أوراق ملكية الشقة الجديدة ، وفحصها الرجل وسجلها وقال لي : " لا توجد الآن وظائف خالية ، وسوف نتصل بك ، في الوقت المناسب " .

شعرت بخيبة أمل وشعرت بأنني سأنتظر طويلا ورجعت مخترقا الجموع ومتأملا بعجلة الوجوه الجميلة التي أحببتها في الماضي ، ولبثت في الشقة وحدي ، وفي الطريق سمعت رجلا يقول بصوت جهير " لا معنى لأن يملك شخص شقة دون أن يشغل وظيفة .. الأولى أن يتركها لغيره فيمن يحظون بفرص أكثر لشغل وظيفة " .. وكأنه يعنيني بقوله ، وما دامت الفكرة وجدت فقد تتحول إلى واقع .

وساورني الشك والهم ، وانتظرت ما يخبئه الغد بعين قلقة مؤرقة .

حلم 20

خرجنا باحثين عن مكان طيب نمضي فيه بعض الوقت ، ونظرنا إلى الهلال ثم تبادلنا النظر . ورأيت على ضوء المصباح رجلا عملاقا لم تر العين مثله أرسل عمودا لا مثيل لطوله نحو الهلال حتى بلغ طرفه . وراح بحركة ماهرة يفرد طيات نوره حتى استوى بدرا . وسمعنا أصوات تهليل فهللنا معها وقلت إنه لم يحدث مثل هذا من قبل فصدّقت على قولي ، وانساب النور على الكون رفعني على سطح الماء فهتفت " ليلة قمرية " فقلت " القارب يدعوننا " وركبنا ونحن في غاية السرور ، وغنى الملاح رايداك والنبي رايداك ، وأسكرنا الفرح فاقترحت أن نسبح حول القارب . وخلعنا ملابسنا ووثبنا إلى الماء وسبحنا ونحن في غاية الامتنان ، ولكن القمر تراجع فجأة إلى الهلال واختفى الهلال .. انزعجنا انزعاجا لم نعرف مثله من قبل ، ولكنني شعرت بأنه يجب مراجعة الموقف بما يتطلبه من جدية فقلت ونحن غارقان في الظلام " لنسبح نحو القارب " فقالت " وإذا ضللنا الطريق " فقلت " نستطيع أن نسبح حتى الشاطئ " فقالت " سنكون عاريين على الشاطئ " فقلت : فليؤجل التفكير في ذلك .

حلم 21

الشارع الجانبي لا يخلو من مارة وأناس في الشرفات، والسيدة تسير علي مهل وتقف أحيانا أمام معارض الأزياء.

يتعرض لها أربعة شبان دون العشرين، تتجهم في وجوههم وتبتعد عن طريقهم، ينقضون عليها ويعبثون بها، تقاوم والناس تتفرج دون أي مبادرة.. الشبان يمزقون ثوبها ويعرون أجزاء من جسدها، السيدة تصوت مستغيثة، راقبت ما حدث فتوقفت عن السير وملكني الارتياع والاشمئزاز وددت أن أفعل شيئاً أو أن يفعله غيري ولكن لم يحدث شيء، وبعد أن تمت المأساة وفر الجناة.. جاءت الشرطة، وتغير المكان فوجدت نفسي مع آخرين أمام مكتب الضابط، واتفقت أقوالنا، ولما سئلنا عما فعلناه كان الجواب بالسلب وشعرت بخجل وقهر، وكانت يدي ترتجف وهي توقع بالإمضاء علي المحضر.

حلم 22

كنا في حجرة المكتب مشغولين ونظر إلى وجهي وقال إنك مشغول البال فقلت له بإيجاز وإعياء : الدواء لا تطيقه فقال أفهم ذلك وأقدره وأحمد الله الذي نجاني من مخالبه فسألته كيف نجا مما لا نجاة منه فقال " لي صديق له أخ صيدلي " فلما عرف شكواي أكد لي أنه يملك الحل .. وعرف مني

الأدوية اللازمة لي ولأسرتي شهرياً وعرضها على أخي الصيدلي فجاءنا بمثيل لها بأقل من عشر الثمن .

فسألته عن مدى الخطورة في العملية فطمأنني وحدثني طويلاً عن أساليب شركات الأدوية حتى أذهلني وأزعجني ، ولم أتردد فكتبت له قائمة بالأدوية اللازمة لي شهرياً وأنا أشعر بارتياح عميق .

وإذا به يقول " ولكن أريد منك خدمة في مقابل ذلك " فأبديت استعدادي لأداء ما يطلب .

فقال " أنا يزعجني الهجوم على الروتين الحكومي والبيروقراطية وتأثر الحكومة بما يقال وبما يكتب وأريد منك أن تكرس قلمك للدفاع عن الروتين والبيروقراطية " فدهشت وسألته عن سر حماسه لما أجمع الناس على نقده ورفضه فقال غاضباً : " يا أخي ما قيمة الموظف أمام الجمهور من غير الروتين والبيروقراطية ؟" ودار رأسي حيرة بين الأدوية والروتين .

حلم 23

أسير في الشارع وأنا على بينة من كل مكان فيه ، فهو عملي ونزهتي ، وأصحابي وأحبائي ، أحيي هذا وأصافح ذاك ، غير أني لاحظت أن رجلاً يتعداني بمسافة غير طويلة وغير قصيرة بين كل حين وآخر يلتفت وراءه كأنما يطمأن إلى أني أتقدم وراءه . لعلي لم أكن أراه لأول مرة ولكن على وجه اليقين لا تربطني به معرفة أو مودة وضايقني أمره فاستفزني إلى التحدي .. أوسعت الخطى فأوسع خطاه ، أدركت أنه يبيت أمراً فازددت تحدياً ولكن دعاني صديق إلى شأن من شئوننا فملت إلى دكانه وانهمكت في الحديث فنسيت الرجل وأنهيت مهمتي بعد الأصيل فودعته ومضيت في طريق سكني وتذكرت الرجل فالتفت خلفي فرأيته يتبعني على نفس طبيعته .. تملكني الانفعال وكان بوسعي أن أقف لأرى ماذا يفعل ولكني بالعكس وجدت نفسي أسرع وكأني أهرب منه وأخذ يساورني القلق وأتساءل عما يريد . ولما لاح لي مسكني شعرت بالارتياح وفتحته ودخلت دون أن أنظر خلفي ووجدت البيت خالياً فاتجهت نحو غرفة نومي ولكني توقفت بإزاء شعور غريب يوحي إلي بأن رجل في داخل الحجرة .

حلم 24

قررت إصلاح شقتي بالإسكندرية بعد غياب ليس بالقصير ، وجاء العمال وفي مقدمتهم المعلم وبدأ العمل بنشاط ملحوظ ، وحانت مني التفاتة إلى شاب منهم فشعرت بأنني لا أراه لأول مرة ، وسرت في جسدي قشعريرة عندما تذكرت أنني رأيته يوماً في شارع جانبي يهاجم سيدة ويخطف حقيبتها ويلوذ بالفرار ، ولكني لم أكن على يقين وسألت المعلم عن مدى ثقته بالشاب دون أن أشعر الشاب بذلك فقال لي المعلم :

- إنه مضمون كالجنيه الذهب فهو ابني وتربية يدي واستقر قلبي إلى حين ، وكلما وقع بصري على الشاب انقبض صدري ، وطلبا للأمان فتحت إحدى النوافذ المطلة على الشارع الذي يعمل فيه كثيرون ممن أعرفهم ويعرفونني ولكني رأيت حارة الجراج التي تطل عليها شقتي بالقاهرة فعجبت لذلك وازداد انقباضي ، وجرى الوقت واقترب المساء

فطالبتهم بإنهاء عمل اليوم قبل المساء لعلمي بأن الكهرباء مقطوعة بسبب طول غيابي عن الشقة .

فقال الشاب : " لا تقلق .. معي شمعة " .. فساورني شك بأن الفرصة ستكون متاحة لنهب ما خف وزنه وبحثت عن المعلم فقيل لي إنه دخل الحمام وانتظرت خروجه وقلقي يتزايد ، وتصورت أن غيابه في الحمام مؤامرة وأنني وحيد في وسط عصابة ، وناديت على المعلم ونذر المساء تتسلل إلى الشقة .

حلم 25

رأيتها في الحجرة معي . ولا أحد معنا ، فرقص قلبي طربا وسعادة ، وكنت أعلم أن سعادتي قصيرة . وأنه لن يلبث أن نفتح الباب ويجيء أحد .. وأردت أن أقول لها إن جميع الشروط التي أبلغت بها على العين والرأس ولكن تلزمني فترة من الزمن ولكني فتنت بوجودها فلم أقل شيئاً ، وناديت رغبتي .

فخطوت نحوها خطوتين لكن الباب فتح ودخل الأستاذ وقال بحدة " إنك لا تفهم معنى الوقت " واقتلعت نفسي وتبعته إلى معهده القائم قبالة عمارتنا وهناك قال لي " أنت في حاجة إلى العمل عشر ساعات يومياً حتى تتقن العزف ".

ودعاني للجلوس أمام البيانو فبدأت التمرين وقلبي يحوم في حجرتي وسرعان ما انهمكت في العمل .

وعندما سمح لي بالذهاب كان المساء يهبط بجلاله وبادرت أعبر الطريق على عجل ولكن لم يكن ثمة أمل في أن تنتظرني مدة غيابي .

وإذا برجل صيني طويل اللحية بسام الوجه يعترض سبيلي ويقول : " كنت في المعهد وأنت تعزف ، ولا شك عندي أنه ينتظرك مستقبل رائع " وانحنى لي وذهب وواصلت سيري وأنا مشفق مما ينتظرني في مسكني من وحشة .

حلم 26

جمعنا مقهى بلدي ، وقص علينا صاحبي قصة بوليسية من تأليفه .. وقبيل الختام دعانا إلى الكشف عن القاتل . ومن دفع ثمن طلبه ، ووفقت إلى الإجابة الصحيحة وحدث بذلك غاية السعادة . وبعد ساعة استأذنت في العودة إلى بيتي . ولانشغالي بنجاحي تهت فسرت في طرق حتى وجدت نفسي أخيرا أمام المقهى مما أثار ضحك الجميع ، وتطوع أحدهم فأوصلني إلى بيتي وودعني وانصرف . وبيتي مكون من طابق واحد وحديقة صغيرة وشرعت في خلع ملابسي ولما صرت بملابسي الداخلية لاحظت أن خطا من التراب يتساقط من أحد أركان الغرفة .. وكان هذا المنظر قد ورد في القصة التي ألفها صاحبنا وكان نذيراً بسقوط البيت على من فيه فبكيت أن بيتي الصغير سينقض فوق رأسي . وملكني الفزع فغادرت البيت بسرعة ولهوجة واستزادة في الأمان انطلقت بعيدا عن البيت بأقصى سرعة في الهواء الطلق .

حلم 27

في سفينة عابرة للمحيط . الناس من كل لون ولغات شتى . وكنا نتوقع هبوب ريح وهبت الريح واختفى الأفق خلف الأمواج الغاضبة ، إني ذعرت ولكن أحداً لم يكن يعني بأحد . وقال لي خاطر إنني وحيد في أعماق المحيط . وأنه لا نجاة من الهول المحيط إلا بأن يكون الأمر كابوساً وينقشع بيقظة دافئة بالسرور . والريح تشتد والسفينة كرة تتقاذفها الأمواج . وظهر أمامي فجأة حمزة أفندي مدرس الحساب بخيرزانته وحدجني بنظرة متسائلة عن الواجب . كان الإهمال الواحد بعشر خيرزانات تكوي الأصابع كياً . وازددت كرها من ذكريات تلك الأيام .

وهممت بدق عنقه ولكني خفت أن يكون أي خطأ سببا في هلاكي فسكت على الذل وتجرعته رغم جفاف ريقي . ورأيت حبيبتي فهرعت نحوها أشق طريقاً بين عشرات المذهولين . ولكنها لم تعرفني وتولت عني وهي تعلن ساخطة وجرت نحو حافة السفينة ورمت بنفسها في العاصفة واعتقدت أنها

تبين لي طريق الخلاص فجريت متعثراً نحو حافة السفينة ولكن مدرس الحساب القديم اعترض سبيلي ملوحا بعصاه .

حلم 28

تتحلق المستديرة والنقود تذهب وتجيء ، أما الفتاة الجميلة فكانت تقوم بالخدمة وتقديم المشروبات وأحياناً السندوتشات . وابتسم لي الحظ فربحت عددا من الجنيهات يعد كبيرا في مجالنا المحدود وشعرت بدوار خفيف فأعلنت أنني سأنسحب ، وعند ذلك اتهم أحد اللاعبين الفتاة بأنها كانت تكشف لي خفية عن باقي أوراق اللعب فغضبت الفتاة كما غضبت أنا احتجاجاً على التهمة البطالة . وقام الرجل ومعه آخران ونزعوا ثياب الفتاة حتى تبدت عارية وهي تصرخ وتهدد بإبلاغ الشرطة عن الشقة التي تدار للمقامرة وغيرها من المحرمات فسرعان ما عاد كل إلى مجلسه . وساعدت الفتاة على ارتداء ملابسها وغادرت المكان إلى مسكني القريب .

وجلست أستريح فإذا بالفتاة تحضر وأخبرتني أن المجموعة غاضبة وزادها السكر غضباً وتهدد باقتحام مسكني وإشعال الفضيحة في الحي كله ونصحتني أن أرد ما ربحته حلا للمشكلة ، ولكني قلت لها إنهم سيعتبرون ذلك اعترافا بجريمة لم نرتكبها ، فقالت إن ذلك أهون مما يعتزمون ارتكابه وأذعنت لرأيها وسلمتها النقود وذهبت بها .

وعاد الهدوء لليل ولكني لم أزل أتوقع فضيحة أو شراً من ذلك .

حلم 29

المكان جديد لم أره من قبل . لعله بهو في فندق وقد جلس الحرافيش حول مائدة . وكانوا يناقشوني حول اختياري أحسن كاتبة في مسابقة ذات شأن . وبدا واضحاً أن الكاتبة التي رشحتها لم تحز أي قبول . قالوا إن ثقافتها سطحية . وأن سلوكها غاية في السوء . وعبثاً حاولت الدفاع . ولاحظت أنهم ينظرون إلي بتجهم غير معهود وكأنهم نسوا

عشرة العمر . وتحركت لمغادرة البهو فلم يتحرك منهم أحد وأعرضوا عني بغضب شديد ، سرت نحو المصعد ودخلت وأنا أكاد أبكي . وانتبهت إلى أنه توجد معي امرأة في ملابس الرجال ذات وجه صارم . قالت إنها تسخر بما يسمونه صداقة وإن المعاملة بين البشر يجب أن تتغير من أساسها . وقبل أن أفكر فيما تعنيه استخرجت مسدساً من جيبها ووجهته إلي مطالبة إياي بالنقود التي معي . وتم كل شيء بسرعة ولما وقف المصعد وفتح بابه أمرتني بالخروج وهبط المصعد ووجدتني في طرقة مظلمة وقهرني شعور بأنني فقدت أصدقائي وأن حوادث كالتي وقعت لي في المصعد تتربص بي هنا أو هناك .

حلم 30

هذا بيتنا بالعباسية أدخل الصالة أمي تذهب إلى المدخل

وأختي تجيء فتقف لحظات ثم تلحق بأمها . لم نتبادل السلام ولكني أعلنت عن جوعي الشديد بصوت مسموع . لم يرد أحد فكررت الطلب . وسمعت أصواتا في الحجرة المطلة على الحقل فذهبت إليها فوجدت أخي الأكبر يجلس صامتا ويتربع أمامه على الكنبة شيخ بالأزهر وقال الشيخ كلاما جميلا ولما انتهى قلت له إني جائع فقال لي إن أحدا لم يقدم له القهوة ولا حتى قدح ماء فغادرت الحجرة وقلت بصوت تسمعه أمي وأختي أن يقدما القهوة لفضيلة الشيخ وأن يحضرا لي طعاما ولو قطعة خبز وجبنة - ولم أتلق إلا الصمت غير أني سمعت حركة في الحجرة المطلة على الفناء فأسرعت إليها وذكرت أنها حجرتي وفيها الفونوغراف والاسطوانات التي أحببتها فوجدت بنت الجيران التي كانت تزورني لتستعير بعض اسطوانات سيد درويش خصوصا اسطوانة أنا عشقت وكانت تبحث عن إبرة لتسمع اسطوانة فقلت لها إني جائع فقالت لي إنها جائعة أيضا . وغلبني الجوع فغادرت الحجرة وصحت طالباً لقمة ولما لم أجد أي شيء غادرت البيت والمساء يظل الطريق والطريق خال وخفت أن تكون المحال قد أغلقت ولكني اتجهت نحو المخبز منهوك القوة من الجوع وثمة أمل يراودني .

حلم 31

أمتطى حماراً يسير بى وسط الحقول خطوات رتيبه وأنا خال من المشاعر تحت أشعه شمس الخريف . وترامى إلينا نباح كلب فتوقف الحمار فنخسته بكعبى فعاد إلى السير , وتعود النباح وتنوح فأحدد بصرى لأرى الرجل الذى أقصده . وظهرت أمرأه محاطه بالعديد من الكلاب فهتفت فيها ألا تكف عن النباح فأذعنت لها فسلمت وقلت إنى قادم لمقابلة الشيخ بناء على خطابيين متبادلين . قالت المرأه إنها صاحبة الأمر الأخيرة وأنها تستطيع أن تقدم الخدمات المطلوبه كما تستطيع أن تفنى من تشاء إن حرضت عليه الكلاب .

فقلت : إننى جئت للسلام لا للحرب وإنى أريد عملاً . وأشارات إلىّ فنزلت عن ظهر الحمار ووقفت أمامها فى خشوع وسارت وتبعتها ومن خلفى الحمار تحيط بنا الكلاب . ووقفت أمام مبنى صغير فتوقف الركب كله . وأمرتنى بالدخول فدخلت وقالت لى أن أنتظر فى الداخل وحذرتنى من الخروج إلى الكلاب التى لا ترحم . فسألتها

حتى متى ألبى . وماذا عن العمل ؟ وأن الشيخ وعدنى خيرا ولكنها لم تحفل بكلامى وأمتطيت الحمار وذهبت تاركه الكلاب حول المبنى وكانت ترسل إلى باحتياجاتى مع رجال أشداء ولكنهم لا ينبسون بكلمه وأفكر أحياناً فى الدخول مع الكلاب فى معركة حياه أو موت . ولكن يتغلب الأمل فأنتظر.

حلم 32

حدثنى الزميل القديم فقال إنه ذاهب للعمل فى اليمن وقال لى إن ثمة كلاماً يدور حول دعوتى للعمل فى اليمن وحثنى على القبول فوعدت بالتفكير فى الموضوع دون أن أبدى أى حماس له . وفى البيت الذى أعيش فيه وحيداً مع كلبتى فكرت فى الأمر على غير المتوقع. وشجعنى على ذلك نفورى من كلبتى الذى تولد منذ أخذ وجهها يتغير ويتخذ صورة وجه إنسان , كانت وهى كلبة خالصه جذابه ومسليه أما بعد التغيير المذهل فلم تعد كلبة ولا بلغت أن تكون إنساناً وسرعان ما أجد نفسى فى حجرة مكتبى فى اليمن وسكرتيرى الخاص واقف بين يدى وكانت الحرارة شديدة فسألت السكرتير عن حال الجو فى هذا البلد فقال لى إنه دافىء شتاء وشديد الحراره بقية فصول السنة ولكن

المبنى مرتفع جداً وكلما ارتفع تحسن الجو وأنه ما علىّ كلما ضقت بالجو أن أكتب التماساً للمدير للنقل إلى طابق أعلى . سررت بعد إكتئاب وقمت إلى النافذة ونظرت إلى أعلى فرأيت المبنى عظيم الإرتفاع حتى خيل إلىّ أنه يلامس السماء .

ورأيت رءوساً تطل من النوافذ العاليه فارتعش قلبى لرؤيتها إذ رأيت فيها وجوه أحبة الزمان الأول . سررت سروراً لا مزيد عليه وحمدت الله على قبولى الدعوه للعمل فى اليمن السعيد .

حلم 33

ماذا حل بالشارع بل بالحى كله ؟ .. على ذاك لم أكن أتوقع خيراً فيما أرى.

الحى كله كأنما هرم به العمر فذهب رونقه وتناثرت القمامة هنا وهناك ، وصادفنى أحد العاملين فسألته :

ماذا جرى ؟

فأجاب وهو يبتسم :

البقاء لله وحده ، وسبحان مغير الأحوال .

وقصدت مسكن صديقى متوقعاً أن يحيق به ما حاق بالحى كله أو أكثر ، ولا أنكر أنه كان وساطتى للحصول على بعض الأدويه الضروريه من الخارج كما كانت مكالمة تليفونية منه تحل أعصى المشكلات فى المصالح الحكومية , وجدته كاسف البال لا يأمل خيراً فى شىء. فعزيته وقلت له إنه صاحب مهنه على أى حال .

فقال متهكماً :

ستثبت لك الأيام أننا لسنا أسوأ من غيرنا .

وساءلت نفسى ترى هل يوجد حقاً ما هو أسوأ ,

وسرعان ما حضر نفر من الشبان والشابات ومع كل حقيبته ملأها بأشيائه المودعة فى الشقه مثل البيجامات والملابس الداخليه والقمصان النسائيه الفاتنة وداهنة وروائح عطرية .

وحمل كل حقيبته وذهب .. نطق كل شىء بما كانت تؤديه شقته من خدمات كما فطن بتدهوره , وتساءلت فى نفسى ترى هل كان ينعم بالفخر أو أنه تجرّع المذله والقهر .

حلم 34

عند منعطف من منعطفات الحارة ، رأيت أمامى الصديقين الشقيقين اللذين طال غيابهما وأحزننى غاية الحزن , وبهتنا لحظات ثم فتحت الأذرع وكان العناق الحار . وتذاكرنا الأحزان والأفراح والليالى الملاح وطلبا منى زيارة سكنى فمضيت بهما إليه على بعد أمتار، وتفحصاه حجرة بعد حجرة وضحكا طويلاً كعادتهما ثم أعربا عن أسفهما لبساطة المأوى ثم سخرا منى بلسانيهما اللاذعين الجذابين ،

وسألانى عن عملى الذى أعيش منه ، فأجبت بأننى عازف رباب وأتغنى بعذابات الحياة وغدر الدهر ، وعزفت لهما وغنيت فقالا إنـها حياه أشبه بالتسول ولذلك فهما لا يدهشان لما يبدو فى وجهى من أثار الضعف والبؤس وقالا لى إنـهما بحثاً عنى طويلاً حتى عثرا على ، وتبين لهما أن قلقهما كان فى محله وأنـهما يبشرانه بالفرج . حمدت الله على ذلك ولكن ما الذى يبشراننى به ، قالا ستهاجر معنا إلى المكان الجميل والرزق الوفير ، فسألت كيف يتيسر لى ذلك فقالا إنـهما - كما أعلم - يمتان بصله لأصحاب النفوذ ولا خير يجىء إلا عن طريق أصحاب النفوذ .

وتأبطاَ ذراعى وسارا بى إلى الخارج ، حتى بلغنا أحد الرجال العظام شكلاً وموضوعاً، وإستمع للحكايه بوجه محايد ، وقال لى إن الهجرة تحتاج لهجة عالية وصبرا طويلاً , فوعدنى خيراً وقال الصديقان , إنـهما يطمئناننى فقال :

- انتظرونى عند الجامع على طلوع الفجر .

حلم 35

فى بيت العباسيه ونحن نأوى إلى أسرتنا للنوم أيقظنى صوت أبن أخى وهو يصيح حريق فى السقف ، ونهضت فزعاً وجاء إبن أخى بالسلم الخشبى وأقمناه فى الصاله وصعد كل واحد منا على جانب حاملاً ما استطاع حمله من الماء وأخذ يرشه على النار الساريه بين الأركان ، واقتحمت حجرة أختى . وأيقظتها من نومها العميق ومن عجب أنها قامت متكاسلة ومتشاكية من أننا لا نتركها أبداً تنعم بالنوم . وعلى أى حال ساعدتنا بملء الأوعية بالماء حتى سيطرنا على النار وأخمدناها وبدأنا نحقق فى الأمر ولكن رجال المطافىء حضروا على أثر إستدعاء الجيران لهم وتأكدوا من خمول النار وفتحوا الشرفات وتفقدوا الأثاث الموجود بها وانتهى الحريق بعد أن أفحمنا فزعاً , وعندما جلسنا نستعيد بعض هدوئنا دق جرس التليفون ، ويلاحظ هنا تداخل الزمان والمكان إذ أن بيت العباسيه لم يكن به تليفون ، وهكذا أصبحنا فى مسكن آخر مع أناس آخرين دق جرس التليفون وكان المتحدث صاحب العمارة التى استأجرنا بها شقة فى الأسكندريه ودعانا الرجل إلى الإسكندرية دون إبطاء وأنه شبت النار داخل الشقة وطمأننا أنه استدعى

المطافىء فأخمدوا النار ولكن حضورنا ضرورى بطبيعة الحال . وفى الحال ارتدينا ملابسنا أنا وزوجتى وأسرعنا إلى محطة الباص الصحراوى وكنا فى غاية الكدر والإنزعاج حتى أننى أقترحت على زوجتى إخلاء الشقه وتسليمها لصاحبها خاصة وأنها تعرضت إلى محاولة سرقه قبل ذلك ولكنها قالت لى إنتظر حتى نرى ماذا ضاع منا وماذا بقى.

حلم 36

جمعنا بهو ما . ثمة وجوه أراها لأول مرة ووجوه أعرفها جيداً من الزملاء. وكنا ننتظر إعلان نتيجة يانصيب . وأعلنت النتيجة وكنت الرابح وكانت الجائزة فيلا حديثة . وحصل زياط وتعليقات وتوهان . ولم تستطع وجوه كثيرة أن تخفى كمدها وقال لى كثيرون إنه فوز ولكنه خازوق من أين لك المال لتأثيثها وتوفير الخدم اللازمين لها وإستهلاكات الماء والكهرباء وخدمة حوض السباحة والتكييف إلخ ؟

الحق أن الحلم مازال حلما وها أنا أتفقد الفيلا كل

يوم تقريباً وأرجع بالخيبة والحسرات . واستغل أناس قله خبرتى وأقنعونى ببيعها وإشتروها بثمن فرحت به ساعات حتى تبين لى أننى خدعت وسرقت .

وحدث فى ذلك الوقت أن خلت وظيفة مدير عام وكثر التزاحم حولها والمرشحون وبطاقات ذوى النفوذ وقابلت الوزير وقلت له إننى لا وسيط لى سواه ولكنه قال لى إنك لم تستطع أن تحافظ على مالك الخاص فكيف أأتمنك على المال العام .

وصرت نادرة ومثالاً فطلبت ضم المدة الباقية لى فى الخدمة إلى خدمتى وإحالتى إلى المعاش وأخيراً وجدت الطمأنينه فى موضع لا يتطلع إليه طماع ولا ينظر إليه ذوو الطموح .

حلم 37

المحمل يتمايل فوق الجمل المزين بالألوان

والورود . أمامه رجل يغرس فى فيه عاموداً ذا رأس تدلى منه شراشيب ورأس الجمل فى مستوى أول طابق من بيت أطل أنا من نافذته وتلاقت عينى مع عين الجمل فقرأت فيها إبتسامة وغمره وحلت لى البركه فطرت من موقعى وراء النافذة ودرت حول رأس الجمل بجلبابى وشعرى المنفوش وكبّر الناس وهللوا وذهلوا لوقوع المعجزة وتماديت أنا فارتفعت فى الجو وتراجعت نحو سطح بيتى وهبطت وبعد مرور المحمل تجمع الناس أمام البيت يريدون مشاهدة الإنسان الطائر وإذا بهم يتحولون فجأة من الإعجاب إلى الخوف والحذر وقالوا إن روحاً شريرة حلت بالشخص الطائر وأن طيرانه حول رأس الجمل نذير شؤم للناس جميعا وأنه يجب أن يبرأ من الشيطان ذلك بجلده حتى يتطهر تماما فإذا رفض الدواء عرض نفسه للعقاب المناسب وهو القتل , وركب الرعب الشاب وأسرته واستنجدت الأسرة بالشرطة واشترط المأمور أن يرى المعجزة وهى تحدث أمام عينيه وذهب إلى البيت ورأى المعجزة وبهر بها حقاً ولكنه وجد نفسه بين رأيين الأسره تقول إنها كرامات الأولياء والناس تؤكد أنه عبث من الشيطان ونذير شر . وأخيراً قرر المأمور أن يضع الشاب فى السجن حتى ينسى الموضوع برمته .

حلم 38

في حجرتى جالس أستمع إلى أغنيه يذيعها الفونوغراف . دخلت من الباب المفتوح فتاة فى العشرين جميلة ورشيقة ومثيرة . اكتسحتنى دهشة ورغبة فقمت من مجلسى واتجهت نحوها حتى وقفت قبالتها . وبهدوء مدت يدها بخطاب فتناولته ونظرت فيه ثم رددته إليها وأنا أقول لها إننى لا أستطيع القراءة لضعف بصرى وطلبت منها أن تقرأه هى ولكنها اعتذرت بأنها لا تقرأ ولا تكتب وأن والدها كتبه للأمير المسطر أسمه على الظرف ووصاها والدها قبل وفاته بأن تجيئنى بالخطاب لأحمله إلى الأمير . وقلت لها ودهشتى تتزايد إننى لا أعرف الأمير ولا أى أمير غيره وساورنى الإرتياب من ناحيتها وحاولت تغيير الموضوع ولكنها ذهبت .

وعندما كنت أعبر جسر قصر النيل فى طريقى إلى عملى ظهرت لى عند نهايته فتجاهلتها ولكنها تبعتنى مسافة غير قصيرة .

وعندما عدت إلى مسكنى وجدتها مستقرة . حذرتها من أن تعود إلى موضوع الخطاب والأمير . ومر وقت طيب ولكنى لم أخل من الوساوس. والظاهر أنها لم تخل كذلك من مخاوف . وكان واضحاً أننا نريد الهرب بطريقة أو بأخرى .

حلم 39

دخلت حجرة الوزير ومعى بيان مكتوب على الآلة الكاتبة بأسماء الموظفين المرشحين للترقية . إسمى بينهم وواضح أن الوزير يخصنى بالرعاية .

وقع الوزير البيان فى أعلاه وذهبت به إلى إدارة المستخدمين لتنفيذه . اتجهت إلى الموظف المختص وكانت فتاة شابة وجميلة , نظرت فى البيان ولاحظت أن الوزير وضع إمضاءه فى أعلاه وأنه يجب أن يضعه فى أسفله . وإلا فإنها لن تستطيع تنفيذ أمر الترقية أو على الموظفين المسجلين فى أعلاه . إغتظت وشكوت ما نلاقى من الروتين ولكنها أصرت على موقفها فحملت البيان من جديد إلى

الوزير فوقع اسمه فى الموضع الصحيح وهو يضحك ورجعت إلى الفتاة وسلمتها البيان وكانت تجلس على يمين مكتبها موظفة صديقة معروفة بالمرح فدافعت عن تصرف زميلتها قائلة إنها تضن بالترقية على الموظفين العزّاب وترى أن المتزوجين أولى بها . وتظاهرت الموظفة بأنها تضايقت من إذاعة هذا السر , ولما قابلتنى الموظفة المرحة بعد ذلك سألتنى عن رأيى فى موظفة المستخدمين فصارحتها بأنها أعجبتنى فاقترحت أن تبلغها بإعجابى كمقدمة لجمع رأسين فى الحلال . فطلبت مهلة للتفكير فقالت إننى لم أعد شاباً وإن عمرى يضيع فى التفكير وأصرت على إبلاغها واستسلمت فلم أرفض .

حلم 40

قبيل المساء وأنا عائد إلى بيتى متدثراً بالمعطف والكوفيه اعترض سبيلى صبى وصبية غاية فى الجمال والتعاسة وطلبا منى ما أجود به لوجه الله وبحثت فى جيبى عن فكة فلم أجد فأخرجت ورقة من ذات الجنيهات الخمسة وطلبت من الصبى أن يذهب إلى أقرب كشك ويشترى لى قطعة شيكولاته ويجيئنى بالباقى . وما غاب الصبى عن

عينى حتى بكت الصبية واعترفت لى بان أخاها يعاملها بغضب شديد ويدفعها لارتكاب الأخطاء فهى تزداد كل يوم انحرافاً وشراً وتدعو الله أن ينقذها مما تعانى ، تأثرت وتحيزت ثم عرفت أن الصبى لن يعود وأدركت مدى حماقتى لما أوليته من ثقة وتذكرت كيف يتهمنى أهلى بالطيبة والغفلة . ولكنى لم أترك له أخته وأخذتها إلى بيتى لتبدأ حياة جديدة مع أهلى . وتحسنت أحوالها وبدت وكأنها من الأسرة لا شغالة لها .

وذات يوم جاء لى شرطى ومعه الصبى الأخ ولما رأى أخته أمسك بها وعلمت أنى مطلوب فى القسم . وهناك وجّهت إلى تهمة اغتصاب البنت والإحتفاظ بها فى بيتى بالقوة . وذهلت أمام ما يوجه إلى وطلبت من البنت أن تتكلم فبكت ووجهت إلى من الكبائر ما لم يخطر لى على بال . وكان المحضر يسجل كل كلمة والدنيا تسود فى عينى وعلى الرغم من إيمانى الراسخ فلم تغب عنى خطورة الموقف .

حلم 41

قال لى السمسار : لا تضجر ولا تيأس يلزمك الصبر الجميل . وكنت أعرف أنه على علم بسر قلقى وأننى مهدد بأن أفقد المأوى وأجد نفسى فى الطريق. قلت له بأننى رأيت من المساكن عدد شعر رأسى ولكن الأسعار دائماً فوق قدرتى . وما هذه المساكن الخياليه التى يقدر ثمن الشقه فيها بالمليون . والعجيب أنه أكد لى أربع زميلات لى يملكن شققاً فى هذه المساكن الخيالية. وغبطهن على قدراتهن الخارقة وقال لى الرجل إن الأمل الأخير فى عمارة الحاج على بحى الحسين وأن علينا أن ننتظر عودته من الحج وقلت له إننى أذكره من أيام إقامتنا فى الحى العتيق وإننى كنت أشترى منه الفول أحياناً بنفسى فضحك الرجل وقال إن هذا ما يقوله الكثيرون ممن يرجون إمتلاك شقة فى عمارته الجديدة .

قلت بخوف : إنه الأمل الأخير

فقال بلهجة مشجعة "عليك بالصبر الجميل"

حلم 42

السفينه تشق طريقها بين أمواج النيل الرزينه نحن جلوس على صورة دائرة يقف فى مركزها الأستاذ . وضح أننا نؤدى الإمتحان النهائى وكان مستوى الإجابات ممتازاً وتفرقنا نشرب الشاى ونأكل الجاتوه وتسلمنا شهادات النجاح وعند المرسى وقفت السفينة وغادرناها وكل يحمل شهادته فى مظروف كبير . ووجدت نفسى أسير فى شارع عريض خال من المبانى ومن المارة . ولاح لى مسجد يقوم وحيداً فاتجهت نحوه لأصلى وأرتاح قليلاً ولكن تبين لى حال دخولى أنه بيت قديم هممت بالرجوع ولكن جماعة من قطاع الطريق أحاطوا بى وأخذو الشهادة والساعة والمحفظة وانهالوا على ضرباً ثم اختفوا فى أرجاء البيت .

خرجت إلى الطريق وأنا لا أصدق بالنجاة . وبعد مسيرة يسيرة صادفتنى دورية من الشرطة فهرعت إليهم وحكيت لقائدهم ما وقع لى .

وسرنا جميعاً نحو بيت اللصوص واندفعوا داخلين شاهرى أسلحتهم ولكننا وجدنا أنفسنا فى مسجد والناس يصلون وراء الإمام وحصل ذهول وتراجعنا مسرعين وأمر قائد الدورية بإلقاء القبض علىّ . وجعلت أؤكد ما وقع لى وأقسم بأغلظ الإيمان ولكن وضح لى أنهم أخذوا يشكون فى عقلى على أنى لم أكن دونهم حيرة وذهولا .

حلم 43

ليلة زفاف ابن عمى تقام فى بيتنا بالعباسية بين الطبل والأغانى يتقدم ابن عمى تتأبط ذراعه عروسه فى حلة العرس . وقبل أن يصعدا السلم إلى الداخل يعترضها مفتش الشرطه. ذهلنا وتساءلنا عما وراء ذلك . انقضّ المفتش على العروس فتفحص وجهها وأخذ بصمتها على لوح صغير وفحصه بمنظار مكبر وألقى القبض عليها وسار بها إلى سيارة الشرطه وأدرك الجميع ما يعنيه ذلك وأقبلوا على ابن عمى يواسونه ويحمدون الله الذى نجاه من شر أوشك أن يطوقه , ورغم ذلك فقد مضى الشاب وهو يبكى . وقررت أن أمضى الليله فى بيت العباسية مع أهلى ولكنى اكتشفت

أن جميع مصابيحه الكهربائية معطلة . فسألت أختى كيف يعيشون فى الظلام . واكتشفت أيضاً أن جدرانه تحتاج إلى ترميم ودهان وضقت بالمكان ونويت أن أصلحه وأعيده إلى رونقه القديم .

حلم 44

وجدت نفسى جالساً أمام مكتب وزير الداخلية . منذ أيام قلائل كان زميلى فى الجريدة وكان إختياره وزيراً للداخليه مفاجأه وإنتهزت الفرصة وطلبت مقابلته فاستقبلنى بمودة وترحاب وعرضت عليه مطلبى وهو توصية لرجل أعمال معروف بصداقته له فاختاره فى وظيفة معينة فى شركة من شركاته وكتب بخط يده التوصية المطلوبة وإنتهت المقابلة على أحسن حال . وفى مساء اليوم نفسه وأنا أمشى على شاطىء النيل اعترضنى رجل ممن نسمع عنهم فى الصحف وأشهر على سلاحاً وسلب منى نقودى . كانت فى حدود خمسين جنيهاً .

رجعت إلى منزلى مضطرباً ولكنى لم أتخذ أى إجراء يؤثر فى الميعاد الذى حدده لى رجل الأعمال . وعند الضحى كنت فى مكتبه وبعد دقائق سمح لى بالدخول فى مكتبه وقدمت التوصية , تجمدت فى موقفى وكانت لحظة غاية فى الحرج قلت فى نفسى "رباه إنه اللص الذى سرقنى أو أخوه التوأم " ودارت بى الأرض .

حلم 45

على سطح البحيرة ينطلق قاربى البخارى وذاك قارب آخر يتبعنى أو هكذا خيل إلىّ . وأسرع فيسرع وساورنى القلق . ولكن لماذا يتبعنى ؟

ووجدتنى أقترب من مرسى فخم فرسوت وصعدت سلماً إلى شرفة واسعة وعرفت أنها تتبع السفارة الروسية وكانت الشرفة مليئة بالمعزين الذين جاءوا يعزون فى وفاة فقيدة عزيزة .

وسلمت على السفير وجلست أسمع ما يقال عن الفقيدة وأنظر إلى البحيرة فلا أرى أثراً للقارب الآخر فإطمأن قلبى .

وقمت فى الوقت المناسب إلى قاربى وانطلق بى فى اتجاه الشاطىء الآخر ونظرت خلفى فرأيت القارب الغريب وهو ينطلق ورائى وكنت بلغت وسط البحيرة فرأيت من الأفضل أن أسير إلى الشاطىء عن الرجوع إلى السفارة وقلت إنه عند الشاطىء تتضح حقيقة الموقف للمواجهة بكل قوة .

حلم 46

جمعتنا حديقة . درج صاحبنا يغنى ونحن نسمع ونطرب ويعلو منا هتاف الوجد والإستحسان . وأزعجنا العباد فشكونا إلى الشرطة . ورأينا الشرطة قادمه فتفرقنا

لائذين بالفرار . جريت فى الإتجاه الذى اتفق وكلما نظرت خلفى رأيت الشرطى يجرى فى أثرى بكل قوة وإصرار وظهر لى شخص يجرى أمامى وكأنه يفر منى . من يكون ذلك الشخص ؟

ذكرتنى رشاقته وجميل قوامه بالحبيبة الغائبة . أطّرد الجرى . الشرطى يريد اللحاق بى وأنا أرى أن أهرب منه وألحق بالحبيبة . وهكذا صعدنا البرج وفوق سطحه منتنى النفس باحتضان حبيبتى ولكنها تخطت السور وهوت من ذلك العلو الشاهق إلى الأرض . فقدت عقلى وزاد من تعاستى اقتراب الشرطى فوثبت من فوق السور وراء حبيبتى وتوقعت أفظع ألم وكان لارتطامى بالأرض دوى مثل قنبلة لكنى لم أشعر بأى ألم . وقمت واقفاً فى تمام الصحه تلفت فلم أجد لحبيبتي أثراً ونظرت إلى أعلى البرج فرأيت الشرطى يطل علينا وهو يغرق فى الضحك.

حلم 47

فى الطريق لعب أمامى مجموعة من الصبية

فشعرت أنهم يضمرون لى السوء . وعجبت لأنه لم يحصل بينى وبينهم ما يدعو إلى ذلك . وسرت فى حذر وأنا أتذكر بدهشة حالى عندما كنت فى سنهم .

ووجدت أمامى محلاً كبيراً يعد ليكون محلاً لبيع الحلوى كما فهمت من لافتته الكبيره وكان العمل على أشده فى إعداده فاقتربت منهم وسألتهم "هل ستقدمون ضمن الحلوى بقلاوة وكنافة " وكف العمال عن العمل واتجهوا بأنظارهم نحوى وعلى حين قهقه الصبية وصفروا . وجاء من أقصى المحل رجل بدا أنه صاحبه وسأل " هل حقاً ما زال يوجد أناس يحبون البقلاوة والكنافة ؟ " وسرت بين العمال همهمة وراح الصبية يرقصون ويصفرون ويكورون قبضات أيديهم فى وجهى .

حلم 48

أقبلت فوجدت فى الحجرة الحرافيش وسألت عن الغائب الوحيد فقالوا إنهم أرسلوا إلى الموسيقار سيد درويش فى طلب فرقة الباليه الجديدة ولا أدرى كيف فسد الجو بينى وبينهم وتجهمت وجوههم جميعاً وهممت بمغادرة

المكان ولكن فرقة الباليه وصلت وفى الحال عزفت الموسيقى ودار الرقص وخف التوتر بيننا واندمجنا فى الرقص والنغم بل وصفت القلوب وانهالت علينا النشوات وغمرنا الحب والمودة .

وإذا بنا ننضم إلى فريق الراقصين والراقصات ونشارك فى الأناشيد والأغانى وتعاهدنا دون كلام على أن نؤرخ تلك الليلة .

حلم 49

قصدت المبنى الأبيض الأنيق فى صدر البهو جلست السيدة الجميلة واجتمعنا إليها فراحت تتحدث عن شركة الإنتاج الفنى التى قررت إنشاءها . ورحبنا بالشركة وصاحبتها ومضى كل منا يدلى برأيه فى الإنتاج والعمل ولم نختلف إلا حول الأجور . فقد كان رأيها أن يحدد الأجر تبعا لاتفاق معها وكان رأيى الذى أيده البعض أن يحدد الأجر بنسبة ثابتة من تكاليف الفيلم أو المسرحية وأجلت المناقشة إلى جلسة أخرى وقلت لزملائى إن الأخذ برأيها يجعلنا تحت

رحمتها وإن النسبة توضح الأمر وتغلق الباب أمام الإنتهازية .

ودعتنا السيدة مع آخرين للعشاء وبعد العشاء أقيمت حفلة موسيقية وما ندرى إلا والسيدة تتجرد من ثيابها وترقص عارية وبصورة غاية فى الإثارة . واستقر رأيى بصفة نهائية . قررت أن أبتعد عن الشركة وصاحبتها .

حلم 50

كنت أتطلع إلى إمرأة فاتنة تسير فى الطريق فاقترب منى بجرأة وهمس فى أذنى أنها تحت أمرى إذا أمرت . كان برّاق العينين منفراً ولكنى لم أصده واتفقنا على مبلغ وأصر على أن يأخذ نصفه مقدماً فأعطيته النصف وضرب لى موعداً ولكن عند اللقاء كان بمفرده واعتذر بتوعك المرأة وكان على أتم استعداد لرد المقدم ولكنى صدقته وأبقيته معه وكان يقابلنى فى حلى وترحالى ويطالبنى بالصبر. وخشيت أن تسىء هذه المقابلات سمعتى

فأخبرته أننى عدلت عن رغبتى ولن أسترد المقدم ولكن عليه ألا يقابلنى . ولم يعد يقابلنى ولكنه كان يلوّح بها فى أكثر الأماكن التى أذهب إليها .

وضقت به كما كرهته وقررت الإنتقال إلى الأسكندريه . وفى محطة سيدى جابر رأيته واقفاً وكأنه ينتظر .

حلم 51

وقف القطار دون وجود محطة فتساءلت صاحبتى عن السبب ولكنى لم أدر كيف أجيبها.

واذا بكتائب من الجيش تطوقه فتقتحمه شاهرة أسلحتها وساقت الى الخارج كثيرين من ضباط الجيش الذين كانوا بالقطار وعددا محدودا من المدنيين. وقبض علىّ فيمن قبض عليهم فتركت صاحبتى منزعجة خائفة. وجدنا أنفسنا فى صحراء. أمرنا الجنود المسلحون بخلع بدلنا والبقاء بملابسنا الداخلية، ولكنهم وضعوا العسكريين فى ناحية والمدنيين فى ناحية، واخذنا نتهامس أننا ضعنا وانتهى

الأمر.

وجاء قائد الجنود ونادى علينا كل واحد باسمه. وتساءل صوت منا

- هل تقتلوننا بلا محاكمة؟

- فأجاب القائد بصراحة:

- الامر لا يحتاج الى محاكمة

وتحرك القطار فتذكرت صاحبتى.

حلم 52

دعينا إلى اجتماع فى حديقة الأزبكية. وهناك طرح علينا اقتراح بتكريم أستاذنا الجليل بمناسبة مرور مائة عام على مولده، ولم يتحمس أحد، ولكن لم يبد أحد منا اعتراضه. واتفق على أن يتم التكريم فى وزارة الخارجية التى قضى فيها زهرة عمره وأنجز أكبر مآثره.

وفى اليوم الموعود ذهبت مبكرا لأتفقد المكان واتجهت من فورى إلى البهو المختار، كان أنيقا مهيبا كعادته ولكن ازدان هذه المرة بوجود الفتيات الحسان اللائى عشقهن على مدى

العمر.
جئن فى زى موحد ليقمن بالخدمات المطلوبة وقد اكتسين برونق الشباب الريان، خفق قلبى بشدة وتحيرت بين نداءات الحسن وجاء قلبى بأقصى قدراته من الحب. وجاش صدرى بالمعانى التى سألقيها فى خطاب التكريم.

حلم 53

سألت عن صديقى فقيل لى إن الموسيقار الشيخ زكريا أحمد يسهر فى بيته كل ليلة شاديا بألحانه حتى مطلع الفجر فقلت يا بخته ودعيت لحضور سهرة فذهبت إلى الحجرة الواسعة المزخرفة جدرانها بالأرابيسك .. ورأيت الشيخ زكريا جالسا على أريكة محتضنا عوده وهو يغنى 'هوه ده يخلص من الله' وفى حلقة جلست الأسرة نساء وأطفالا وبينها رجل معلق من قدميه وتحت رأسه على مبعدة ذراع طست ملئ بمية النار.
وضاعف من ذهولى أن الجميع كانوا يتابعون الغناء دون

أدنى التفات إلى الرجل المعذب.

حلم 54

فى الحجرة المغلقة دار الحوار بينى وبين المذيعة وكان الحديث عن الموسيقى المحلية والأجنبية، وعند بعض مراحل الحوار أقوم للبيانو وأعزف عليه بعض الألحان.

وكلما مر وقت فتح الباب ودخلت سيدة من أهل البيت لعلها أمى أو أخرى فى منزلتها تقدم مشروبا وتذهب، ولكن وضح لنا أنها كانت تراقب خلوتنا بريبة.

وضقت ذرعا برقابتها فعزمت على تحديها بصورة غير مسبوقة فما أن سمعت صوت الباب وهو يفتح حتى اندفعت نحو المذيعة وضممتها إلى صدرى.

ولم أعد أبالى شيئا كما لم أجد غضاضة ما. ولما انتهيت من التحدى كانت المرأة قد اختفت من الحجرة بل ومن البيت كله.

حلم 55

تحتدم المناقشة بين امرأة ورجل وأبنائها الخمسة حول حق الأم التى تجاوزت الستين فى الحب والحياة. وتخطت المناقشة الأسوار فصارت حديث الجيران.

يقول البعض إنه حب زائف بين عجوز وشاب فى سن

أبنائها طمعا فى المال الذى ورثته عن زوجها. ويقول البعض إنه ليس للإنسان إلا ما يقدر له من الحياة والحب خاصة حتى ولو أدى ذلك إلى دفع الثمن باهظا. وبدا الأمر فى نظر الشبان الخمسة مصيبة لها، وكان من قتل الأم البائسة ووقف الأبناء الخمسة فى قفص الاتهام. وتوزعت التهمة عليهم من التنفيذ للمشاركة للتخطيط.

وكان التحقيق فيها والمرافعات حامية إذ كانت مفرداتها الأمومة، والبر، والشرف، والسمعة، والتقاليد ومازلت أذكر وجوههم وأقوالهم كما لازلت أذكر المرحومة أيام كانت تتحدى العمر والألسنة، وتسير متبرجة تتبختر.

حلم 56

غادرت البيت الكبير الذى ينتظر فيه كل رجل بذاته فلا يعرف أحداً من الآخرين. وشعرت بشئ من الأمان بعد القلق.

غير أن شعور الأمان لم يدم طويلا، فخيل إلى أن آخرين يتبعوننى، ونظرت خلفى أخذت فى الجرى، فرأيت عن بعد جماعة قادمة ملوحة بأيديها فى الهواء.

فأوسعت الخطى حتى أخذت فى الجرى. ورأيت فى الطريق بيتا وكان هناك من يدعونى فهرعت من فورى إليه ووجدت أهله وكأنهم عائدون من الخارج فهم ينظمون الأشياء

ويزيلون عنها الغبار، ولم يدهش أحد لحضورى أمامهم فنظروا لوجهى ودودين فى وجوههم وأحاديثهم وابتسامتهم.. ونسيت فى تلك اللحظة الزاحفين ورائى.

حلم 57

درت حول الحصن مرتين.. حصن حجرى نوافذه صغيرة كالثقوب، ومن كل نافذة يطل وجه أعرفه بل وأحبه.. والبعض طال غيابه والآخر رحل عن دنيانا من أزمنة مختلفة، فنظرت بشوق وأسى وخيل إلى أن كل وجه يسألنى من أعماقه أن أحرره، ونظرت إلى باب الحصن الحجرى بلا أمل، ثم ذهبت إلى دار السلطة وطلبت العون، وغادرتها مجبور الخاطر قابضا على عامود من الصلب، ورجعت إلى الحصن، ولوحت بالعامود فتهللت الوجوه واصطفت على الباب وضربت ضربة هائلة فتحطم وتهاوى، واختفت الوجوه من النوافذ وتعالى هتاف فرحة وسرور، ووقفت خافق القلب منتظرا لقاء الأحبة بلهفة وشوق.

حلم 58

أخيرا جاء الترام الجديد وأصبح درة المواصلات فى حى العباسية وكنت من أول من استقلوه وجذبتنى إليه ألوانه الخضراء والبيضاء وزخارف جدرانه وفخامة مقاعده. كنت

أقعد وأقف وأنا أتعجب من جماله، وأقول لنفسى هذا متحف جميل لا ترام، ولكنى لاحظت مع مرور الزمن أن سلوك ركابه دون مستوى جماله بكثير. والحق أنى رأيت فعالا يندى لها الجبين خجلا، وذات يوم رأيت شابا من الخواجات ينقض على طفلة يريد أن يلتهمها ولكنى حلت بينه وبينها مذكرا إياه بأنها طفلة وقبل أن يشتبك معى صعدت سيدة جميلة فى أواسط العمر فهرع الشاب إليها وهو يهتف ' Like you' وقالت السيدة إنها راجعة لتوها من أوروبا حيث شاركت فى الاحتفال بظهور سيرتها الذاتية وعرضت علينا نسخة فإذا على الغلاف صورة امرأة عارية تماما!.

حلم 59

إنه عجيب لطول قامته.. عجيب فى سلوكه، أما عن قامته فهى مثل مئذنة الزاوية، وأما عن سلوكه فإنه يعترض سبيل من يختار من أهل حارتنا، ويحنى قامته المديدة حتى يوازى وجهه وجهه، ويتفرس فى أساريره بإمعان، كأنما يبحث عن سر دفين، ويمضى بعد ذلك نحو المقصد حتى يختفى عند المنحنى .. وتلقاه الناس بدهشة واجمة وامتعاض شديد، بل إن أحدهم تبعه عن بعد ليكشف أمره، ولما طالت غيبته خرجت جماعة من الأهل والجيران للبحث والاطمئنان ولكنها رجعت مخيبة الرجاء.

عند ذاك جاء دور شيخ الحارة فنهض ليؤدى واجبه، ورجع الرجل جريح الكبرياء، وانقلب الحادث إلى حكاية على كل لسان، كثرت حوله الأفكار والظنون، ولكن بلا جدوى فطواه النسيان أو كاد.

وذات يوم كان شيخ الحارة يسامر إمام الزاوية إذ شعر بوجود يحل فى وجوده، ورأى أمره العجيب بل ولمح قبسا من سره الذى حير الناس، وقرر فى الحال القبض عليه، وأذاع ما عرفه من سره على الملأ.

وهمّ بالقيام ولكن خانته قواه جميعا، فلم يستطع أن يتحرك ولم يستطع أن ينطق.

حلم 60

دققت جرس الباب ففتح عن ثلاث فتيات يقينا أنى لا أعرفهن، لكننى شعرت بأننى لا أراهن لأول مرة. سألت عن السيدة صاحبة الشقة فأجبن بأنها مازالت فى الحج ولم يعرفن بعد ميعاد عودتها. وسرن بى إلى حجرات الشقة.

وعند فتح كل باب أرى جماعة حول مائدة مستديرة غارقين فى مناقشة حادة ولكنى لم أعرف أى موضوع يناقشون من اختلاط الأصوات وتداخلها. ولم أرغب فى الدخول فى أى غرفة مفضلا انتظار السيدة صاحبة الشقة. ولفتت نظرى إحدى الفتيات بأن السيدة سوف تتأخر بضعة أيام ومن يأسى أجبتها بعد أن اشتركت فى المناقشات دون جدوى أننى أفضل انتظار عودة السيدة.

حلم 61

وصلتنى دعوة عشاء فى بيت قريب عزيز. ولما اقتربت من الباب رأيت أفواجا من المدعوين يدخلون. فأدركت أن الدعوة عامة. ورأيت بين القادمين نخبة من جيل أساتذتى وأخرى من جيل الزملاء. وتبادلنا التحية وبعض الكلام وكان مما أجمعوا عليه أنهم يقيمون الآن فى قرية كرستوفر وقالوا الكثير عن جمالها وتفوقها على جميع القرى السياحية. دخلنا وتفرقنا بين الموائد. وكانت جلستى أمام مائدة صغيرة عارية من كل شىء فلا مفرش ولا طبق ولا أدوات طعام وقبل أن أفيق من دهشتى رأيت شكوكو قادما نحوى قابضا على فخدة خروف محمرة. وسلمها لى يدا بيد وذهب وهو

يضحك. صعقت واستأت ولكنى لم أر بدا من قطع اللحم بأصابعى لأتناول طعامى غير أننى كنت أفكر طيلة الوقت فى كرستوفر.

حلم 62

أخيرا عثرت على الصورة القديمة العزيزة بين الأشياء القديمة. ولكن فرحتى لم تتم إذ سرعان ما تبين لى أن الصورة تهرأت بمرور الزمن عليها وطمست ملامح الأعزاء فلم يبق منها بقية تذكر.

وبقدرة قادر وجدت نفسى فى بهو مصلحة حكومية وبيدى ملف خدمة موظف يتتبع خطاى ويطالب بالإنصاف. وأدركت بخبرتى أن الموضوع من اختصاص إدارة المستخدمين.

وبحثت فلم أجد لها أثرا وفيما أمر أمام حجرة المخازن فتح الباب وخرج منه زميل توفاه الله منذ شهر. خطف الملف من يدى ورجع إلى المخازن وهو يؤكد أن الموضوع من اختصاصه. وأنسانى مظهره المهمة التى كانت تشغلنى.

حلم 63

هذه أرض خضراء يحيط بها سور متوسط الارتفاع لكنه

كاف لإخفاء ما يجرى داخله عمن فى الخارج، وتنطلق من وسطها مسلة طويلة فى رأسها علم، أما سطحها فيمرح بالشباب والحركة. خلت بادئ الأمر أننى فى ناد رياضى. ولكن بعد أن أمعنت البصر غلب على ظنى أننى فى سيرك، فهنا جماعة تسير على أربع. وهنا فريق يتبادل أفراده الصياح والركل. وفريق آخر يتعاقب الحركة.... الشتائم، أما البقية من الشباب فتشدو بألحان لم يسمع مثلها. وأردت أن أزداد علما فوجدتنى خارج السور فى مدينة كبيرة يشقها شارع عملاق تتكتل الجماهير على جانبيه خارج السور وهى تهتف متطلعة إلى العلم فى رأس المسلة. وأخيرا فتح الباب الكبير. وتهادى منه الموكب، عربة إثر عربة. وفى كل عربة شاب يجلس جلسة ملوكية، ينظر إلى الناس من عل. ويرد تحياتهم باستعلاء واستكبار.

حلم 64

من شدة الرعب تسمرت قدماى فى الارض، فعلى بعد ذراع منى شبت ثلاثة كلاب ضخمة متوحشة تريد أن تنقض على لتفتك بى لولا أن قبضت على أذيالها امرأة باستماتة.

وإلى اليمين وقفت كلبة فى ريعان الشباب، آية فى غزارة

الشعر وبياضه ونعومته وكانت تشاهد ما يحدث فى قلق تجلى فى اهتزازات ذيلها القصير المقصوص.

وارتفع نباح الكلاب الثلاثة وتتابع كالرعد واشتعلت فى أعينها الرغبة المتأججة فى الفتك بى ولما تعذر عليها الوصول إلىّ استدارت فجأة ووثبت على المرأة وعند ذاك اقتلع الرعب قلبى وارتمت علىَّ الكلاب. أما الكلبة الجميلة فتطلعت لى مدة وترددت لحظة عابرة ثم ألقت بنفسها فى المعركة دون مبالاة بالعواقب.

حلم 65

انقضى العام الدراسى وأعلن عن يوم الامتحان. ولم نكن فتحنا كتابا ولا حفظنا جملة توجب التفكير فيما ينبغى عمله. وثمة قلة كانت ما تزال تحتفظ بشئ من الاحترام لما هو معقول فقررت الامتناع عن حضور الامتحان.

أما الأخرى فكانت مولعة بالعبث واللامعقول فانتهزت الفرصة المتاحة وعزمت على حضور الامتحان.

وفى الصباح الموعود انتظمنا فى الصفوف ولبسنا أقنعة

الجدية والاهتمام. وإذا برئيس اللجنة يقوم ويقول بصوت جهورى إنه سيوزع علينا ورقتين إحداهما تحوى الأسئلة والأخرى تحوى الإجابات الصحيحة. وذهلنا حقا فلم نكن نتصور أن بين أساتذتنا من يفوقنا فى حب العبث واللامعقول.

حلم 66

تم التفاهم بينى وبين المالك ودعانى الرجل لمعاينة ما تم التفاهم عليه أرانى شقة ممتازة وزوجته الحسناء وابنها وهو طفل فى الثالثة. وطابت نفسى بما رأت وتحدد موعد الساعة التاسعة من صباح اليوم الثانى للتسليم والتسلم. لكنى فى الحقيقة لم أستطع صبرا.

ودفعتنى قوة لا تقاوم للذهاب إلى الشقة. وكان الذى فتح لى الباب هو المالك نفسه. ولما رآنى ثار غضبه وصفق الباب فى وجهى بغضب ارتجت له الجدران، وبت ليلة مسهدة أتساءل بقلق بالغ عن الصفقة والمصير..

حلم 67

بناء كبير ستجده فى الأصل كان مبنى الوزارة التى كنت موظفا بها ولما رأيت الشباب يعود إليها – راودتنى نفسى

على ارتيادها. فى الداخل قابلت نفرا من الزملاء القدامى فانشرح صدرى للقائهم وسرنا من حجرة إلى حجرة ومن ذكرى إلى ذكرى حتى بعثنا الماضى من مرقده. ومررنا بسلم واسع عجيب فصعدت من فورى إلى الطابق الثانى هناك رأيت شبابا كثيرين كلما رآنى أحدهم تجهم وجهه وألقى على نظرة مستنكرة انتفض قلبى وشعرت برغبة فى التبول. وبحثت هنا وهناك حتى استقرت عيناى على لافتة ترشد إلى دورة مياه فى ممر بين الحجرات فهرعت إليه ولكنى وجدت عمالا عاكفين على إنجاز مشروع لم يتم تنفيذه لا يصلح للاستعمال رجعت من حيث أتيت. وسرعان ما اكتشفت بأنه لا سبيل إلى الفرج إلا بالعودة إلى الطريق.

حلم 68

ما أجمل هذا المكان. إن سماءه وأرضه وما بينهما تتألق بلون الورد الأبيض. وجوه آية فى النقاء والصفاء. أما معجزته الحقيقية فهى أنه جمع أصدقاء العمر الأحياء منهم والأموات دون أن يثير ذلك دهشة أحد. فلا نحن سألناهم عما وجدوا فى العالم الآخر ولاهم سألونا عما حدث فى الدنيا عقب رحيلهم.

ولكنا وجدنا أنفسنا جميعا فى اللهو متمنين أن تدوم الحال، غير أن الحال لم تدم إذ هبطت من السماء سحابة سوداء، حتى ساد الظلام وفرق بيننا، وانهمر مطر مثل الشلالات وتتابع البرق والرعد دون هدنة حتى بلغت القلوب الحناجر.

وهنا تسلل لأذنى أصوات بعض الأصدقاء

قال الأول "إنها النهاية".

وقال الثانى "إنى لمحت عند الأفق قبسا من الفرج".

وقال الثالث "مهما يكن من الأمر فلا مفر من الحساب".

حلم 69

هذه غابة تتوسطها هضبة هرمية الشكل، يُصعد إليها من خلال ممرات حجرية مدرجة مزينة بصفوف النخيل وأحواض الزهور وجواسق العاشقين. خلوت إلى صاحبتى، وسبحنا معا فى مناجاة غيبت عن وعينا الوجود، وبغتة

انتثرت صاحبتى واقفة وفى غمضة عين غادرت الجوسق. وقمت لألحق بها وأطمئن عليها فاعترضنى صوت كالرعد ينطلق من مكبر صوت ويحذر الناس من وجود قنبلة زمنية ويدعوهم إلى مغادرة الهضبة بلا إبطاء ولا تردد، واندفع الناس نحو الممرات الحجرية وأنا أتلفت، وجمعنا رجال الأمن فى موضع على بعد آمن، وبحثت عن صاحبتى فلم أعثر لها على أثر.. ترى أين اختفت؟ وهل ثمة علاقة بينها وبين الجريمة؟ وألا يجرنى ذلك إلى الإتهام رغم براءتى؟

وسمعت أقرب الواقفين إلى وهو يقول لصاحبته إن قلبه يحدثه بأن المسألة ليست أكثر من بلاغ كاذب. وسألت الله أن يصدق حدس الرجل ولكنى لبثت ممزقا بين التفكير فى صاحبتى وتوقع الانفجار!.

حلم 70

نادانى الشوق لرؤية الأحباب فتوجهت صوب الحى العتيق. وكالعادة قطعت الطريق مشيا على الأقدام حتى بدا لى البيت القديم وذكرياته. ولم أضّيع وقتا فأخذت فى الصعود نحو الطابق الثالث والأخير. ولكن دهمنى إرهاق غير يسير عند منتصف السلم جعلنى أفكر فى تأجيل الرحلة لولا أن طبعى يأبى التراجع وبجهد جهيد واصلت الصعود حتى بلغت

البسطة الثالثة. ومن موقفى الجديد لاح لى باب الشقة غارقا فى الصمت والسكون، فعلمت أنه لم يبق من الصعود سوى عشر درجات هن ختام السلم لكنى لم أر درجة واحدة، ووجدت مكانها هوة عميقة فخفق قلبى خوفا على آل البيت.

ومع أن الوصول بات متعذرا إلا أنى لم ألتفت إلى الوراء، ولم أفكر فى التراجع، بل ولم أفقد الأمل. وجعلت ألصق بصرى بالباب الغارق فى الصمت والسكون وأنا أنادى، وأنادى، وأنادى من الأعماق.

حلم 71

كان أجمل ما فى عهد شبابنا صديق نادر المثال. آية فى خفة الروح وحلاوة النكتة ورشاقة القفشة وبراعة القافية وثراء الحكايات، والنوادر وإلى ذلك كله لم يكن يضن علينا عند الطلب بالغناء والرقص وسائر فنون اللهو. هكذا أمتعنا دهرا حتى وقع عليه الاختيار لشغل وظيفة مرموقة عرفت فى بلادنا بالجلال والوقار. وتوجسنا خيفة، و سرعان ما تحقق تخوفنا فقال لنا وكأنه يرد عنا إنه قرر تغيير حياته من الألف إلى الياء ولم يراجعه أحد وسلمنا أمرنا لله.

وكان إذا قابلنا فى مناسبة حيانا بوقار شديد يعمق شعورنا بالغربة والأسى.

ووهنت العلاقة الحميمة وقاربت التلاشى، ولم نعد نسمع عنه إلا فى نشرة التنقلات والترقيات. وأخذنا نتناسى حتى نسيناه أو كدنا. وباعد الزمن بيننا وبينه حتى شاء القدر أن نلتقى على غير ميعاد ذلك عندما احتفلت البلاد بعيدها القومى الجديد. خرجنا للمشاركة والفرحة.

وعزفت الموسيقى النحاسية ودقت الطبول. وتقدمت فرقة من الجيش تبعتها فرقة من الشرطة تبعتها سيارات الصفوة وهنا طالعنا صديقنا القديم ولكن على حال لم تجئ لنا فى خاطر. رأيناه يمتطى حمارا. ويتجلى التناقض صارخا بين تفاهة موكبه وفخامة ملبسه. وكان يثير الضحك أينما ظهر. لكنه والحق يقال لم يلتفت يمنة ولا يسرة، ولا حاد شعرة عن وقاره.

حلم 72

امتلأ البيت القديم بالعباسية بالطيور المهاجرة من الإخوة والأخوات فى اليوم المتفق عليه لزيارة الوالدة، وطلبوا منى

إعداد أكلة سمك من سماك العباسية المشهور. ذهبت من فورى إلى المطعم وطلبت الطلب ووجدت جميع الموائد مشغولة إلا المائدة التى تلى الباب مباشرة فذهبت إليها وجلست على كرسى فى طرفها أنتظر. وجاءت سيدة فى الستين مصطحبة معها فتاة فى العشرين وجلستا إلى المائدة، وجاء النادل بالأطباق والطواجن. وعلى خلاف المعهود دعتنى السيدة لمشاركتهما الطعام، وبخلاف المتوقع لبيت الدعوة صامتا وبدأت فى تناول الطعام، وسرعان ما جاء النادل باللفافة المعدة للمنزل فتناولتها وانسحبت من المائدة دون اعتذار أو شكر وخرجت من المطعم فرأيت على بعد ذراع صديقى المرحوم ع . ش وسررت برؤياه سرورا كبيرا. وعلى سبيل المجاملة قدمت له اللفافة لكنه أخذها بلهفة ومضى دون أن ينبس بكلمة إلى باب مفتوح فدخله وأغلقه. وأدهشنى بتصرفه ولكنى لم أجد مناصا من تجديد الطلب فرجعت إلى المطعم وجددت الطلب. وكان النادل يحمل الحلوى إلى السيدة والفتاة. ودعتنى للمشاركة فذهبت دون تردد، وهنا قالت السيدة أنها ترغب فى الذهاب إلى شارع بين السرايات ولكنها لا تدرى كيف السبيل إليه، فتطوعت بتوصيلها وسار ثلاثتنا فى شارع العباسية. وتم التعارف بالشكر وتفرع الحديث بنا واستحوذ على حتى أنى مررت

بشارع بين السرايات دون أن أنتبه لذلك، كما نسيت الطعام الذى يجهز لى فى المطعم وكما نسيت المنتظرين والمنتظرات فى البيت القديم بالعباسية.

حلم 73

وجدتنى فى البيت القديم بالعباسية، ويبدو أننى كنت متكدر المزاج فلم يسلم من نقدى شئ مثل طلاء الجدران وخشب الأرضية والأثاث حتى جاءنى صوت أمى من أقصى الشقة وهو يقول .. بنبرة باسمة.. لطيفة: إنه آن الأوان كى أبحث بنفسى عن شقة جديدة تعجبنى.

وانتقلت إلى مكان وزمان آخرين فوجدتنى فى بهو متعدد الحجرات والأشخاص، يوحى منظره بأنه مصلحة حكومية. وأكد ذلك مجئ زميلى المرحوم ح .أ ليخبرنى بأن الوزير أرسل فى طلبى، وذهبت من فورى إلى حجرة الوزير واستأذنا ودخلت. ورأيت الوزير على غير عادته من البشاشة وقال لى أنه علم بنقدى للثورة وزعيمها فساءه ذلك فقلت له إنى أعتبر نفسى متيَّماً بمبادئ الثورة ولم أكن من رافضيها غير أنى تمنيت دائما لها الكمال وتجنب العثرات والنكسات.

وانتقلت إلى مكان وزمان آخرين فوجدتنى صبيا يتجول فى ميدان بيت القاضى، وجاءنى صديق فى مثل سنى يدعونى لحضور حفل زفاف شقيقه الأكبر، وقال إن شقيقه دعا سعد زغلول ليشرف الفرح ويباركه وأنه قبل الدعوة ووعد بالحضور. فدهشت دهشة كبرى وقلت له بأن سعد زغلول هو زعيم الأمة فضلا عن أنه اليوم رئيس وزرائها. وأنتم لستم من أقربائه ولا من زملائه فى جهاده، فقال إن سعد هو زعيم الأمة حقا ويخص البسطاء بوافر الحب وإننى سوف أرى.

وفى الميعاد ذهبت إلى الحفل فى درب قرمز ومضى بى صديقى إلى حجرة فرأيت فى الصدر سعد زغلول فى بدلة التشريفة يجلس معه ويتبسط معهما فى الحديث ويشاركهما الضحك، بهرت بما رأيت انبهارا استقر فى أعماقى.

حلم 74

هذا ملعب كبير حل محل بيوت الجيران فى الجانب المقابل من الطريق يملأه الجنود البريطانيون، فيغنون ويرقصون..

ونحن نتابعهم بدهشة وقلق، ثم ينتشرون فى شارعنا والشوارع المتفرعة منه.

وتشاورنا فى الأمر واستقر رأينا على الانتقال إلى حى آخر، ولما لم نجد بيتا مستقلا رضينا بشقة فى عمارة ضخمة ولم نضن بجهد حتى جعلناها صالحة للمعيشة، وما كدنا نركن إلى شئ من الراحة حتى سمعنا صوت خرفشة مما يصدر عادة من الفئران فتعكر صفو راحتنا.. وقبل أن نفكر فى شئ ينبغى عمله سمعنا طرقات الباب الخارجى. ولما فتحت الباب رأيت كثرة من الرجال المسلحين بالعصى، قالوا إنهم سكان العمارة يطاردون لصا يظنون أنه تسلل إلى شقتنا واقتحموا الشقة وتفرقوا فى الحجرات وأحدثوا جلبة مزعجة، ولكنهم أعلنوا أنهم لم يعثروا على اللص، وغادروا المكان بعد أن قلبوه رأسا على عقب.. بل واكتشفنا اختفاء اللص المتخفى، وبينما نحن نتبادل النظر فى غيظ وضيق إذ سمعنا من جديد صوت الخرفشة.. فثرت غضبا وقلت ليكن فأرا أو لصا أو عفريتا فلن أفتح الباب للطارق.

حلم 75

أمى ترحب بجارة عزيزة وكريمتها الحسناء فى حجرة المعيشة بالدور الثالث فى بيتنا القديم، ودعيت للجلوس

معهن ثقة فى الألفة بين الأسرتين.

وفى أثناء الحوار استرقت إلى الفتاة نظرة واسترقت إلى نظرة دون أن يغيب هذا عن أم الفتاة، فلما ذهبت أمى فى الابتعاد عن الغرفة همست لنا الجارة أن انزلا إذا شئتما إلى الدور التحتانى الآن كعادة من أهل البيت، وتلقيت الدعوة بذهول وبفرح شامل. وما أن دخلنا الدور التحتانى حتى جذبتها إلى صدرى، ولكنى لم أخط الخطوة التالية لسماع ضجة غريبة. واقتحم المكان نساء ورجال وشباب، وتفرقوا فى الحجرات، ثم جاء رجل من رجال الأمن ووقف عند الباب زاعماً الحفاظ على القانون، وكدت أفقد عقلى من الذهول وضاعف من ذهولى أنى رأيتهم يغنون فى حجرة، كما رأيتهم يرقصون فى حجرة أخرى، ونظرت إلى فتاتى مستغيثا بها فوجدتها هادئة باسمة.. وعند ذلك قررت الهرب، غير أنى رأيت رجل الأمن عند الباب فتسمرت فى وضعى فريسة للذهول وخيبة الأمل.

حلم 76

هذه شجرة مورقة يجلس تحتها صديق الشباب وشهيد الوطنية.. وعلى الرغم من مرور عشرات السنين على رحيله فإنه بدا أنيقا فى صحة وعافية. فانشرح صدرى

لمرآه وهرعت إليه ولكنه أوقفنى بإشارة من عصا بيده، ذكرته بعهد الصداقة فلم يعبأ بكلامى وقال إنه لم يعد يستطيع صبراً مع تل القمامة.

قال ذلك وألقى عصاه ثم ذهب، التقطت العصا وأنا حزين ولكنها بعثت فىّ روحاً جديدة، فانطلقت من فورى إلى تل القمامة وانهلت ضربا على أطرافه وكل ضربة أحدثت شقا ومن كل شق يخرج رجال ونساء ليسوا على شاكلة جامعى القمامة ولكنهم آية فى النظافة والوجاهة والفخامة. وكلما لمح أحدهم العصا بيدى فر يركبه الفزع، عند ذلك رسخ يقين بأن الشمس ستشرق غدا على أرض خضراء وجو نقى.

حلم 77

انعطفت إلى الشارع الجانبى الهادئ حاملا حقيبتى بيدى، وسرعان ما تلقيت من الطريق سيلا من الذكريات والأشواق المحفوفة بالقلق والخوف.

وتوقعت عتابا على غيبتى غير القصيرة واستعددت له بالمعاذير المناسبة.

وبلغت مدخل العمارة. فلاحت لى الشقة الأرضية على بعد أربع درجات من السلم وضغطت على الجرس متطلعا بوجه باسم، وفتحت الشراعة عن وجه رجل غريب فى جلباب منزلى يوحى بأنه صاحب المكان وفجأة هوى وجدانى الملتهب إلى قاعة بحيرة جليدية وفكرت بسرعة فى اختلاق كذبة تنتشلنى من ورطتى فادعيت أنى تهت وأبحث عن سكن فلان أفندى المدرس وأننى ضللت العمارة فقال الرجل وهو يتفرس فى وجهى بارتياب وتحفز.

- هذه شقته وهو فى الداخل فمن حضرتك لأبلغه؟

وأدركت أننى انكشفت وخرست مبهوتا فارتفع صوت الرجل وهو يقول:

- ما أنت إلا كذاب وفاسق مثل جميع من جاءونى قبلك.

ولم أطق المزيد فهرولت نازلا وكدت أفقد توازنى فسقطت الحقيبة من يدى وانفتحت فظهر داخلها زجاجة نبيذ وكيلو كباب فى طبق من ورق، ولكنى لم أكن أفكر إلا فى أمر واحد

وهو أن أختفى فى سرعة البرق.

حلم 78

يالها من جنازة كبيرة، لا أدرى كيف انضممت إليها، فإنى لا أعرف أحدا من المشيعين. بل لا أعرف الميت، والأغرب أن الجنازة سلكت طريقا لم تسلكه الجنازات من قبل، فقد اتجهت نحو شبكة من قضبان السكة الحديد. وعبرنا بها إلى الخلاء حيث توقفت عن السير طلبا للراحة، على حين واصلت القطارات سيرها نحو الشمال ونحو الجنوب وعلا جدل بين الملتفين حول النعش. فريق يرى أن يحمله إلى الجنوب. وفريق يريد أن يحمله إلى الشمال، وكلا الفريقين يزعم بأنه ينفذ وصية الراحل، وصاح أحد العارفين يذكر القوم بأن الراحل ولى من أولياء الله الصالحين، وأنه لن يسمح لأحد بحمله إلى جهة لا يرضاها، وأمن القوم على قوله. وجرب فريق الجنوب حظه ولكنه عجز عن حمل النعش وجرب فريق الشمال فمنى أيضا بالفشل .. عند ذاك أدرك الجميع أن ولى الله يأبى أن يغادر الموقع الذى هو فيه وسطا بين الجنوب والشمال.

حلم 79

جلست فى شرفة الفندق الصغير المطلة على البحر. غاب

عنى المنظر الجميل لشدة استغراقى فى انتظار فتاتى. ولما طال الانتظار جاءنى مدير الفندق وهو أيضا صديق صباى واقترح على أن أعالج حالتى بالمشى. ذهبت إلى الشاطئ ورحت أسير ذهابا وإيابا. وإذا بى ألمح فتاتى فى سباق سباحة مع نفر من الشبان أحدهم مضى بها إلى الصخرة ليستريحا بعيدا عن الأعين، تلقيت طعنة فى القلب وغرقت فى إحباط لا قرار له وأدركنى المدير الصديق وقال:

- هذا هو حال الدنيا فلا تستسلم للحزن.

فقلت له:

- أنت تعلم أننى عرفت أشياء كثيرة ولكنى لم أتعلم السباحة، وأخذنى إلى ركن هادئ فى حديقة الفندق، وبقيت ساعة فى غم وهم. وإذا بمفاجأة غير متوقعة بحال، رأيت فتاتى تقبل نحوى متهللة الوجه بالسعادة، وتوثبت لإفراغ شحنة من غضبى. وإذا بى أتلقى مفاجأة جديدة. غير متوقعة وغير مفهومة وتستعصى على أى إدراك، فقد غمرتنى بغتة فرحة شاملة مسحت عن صدرى الأحزان كلها وكأن ما كان لم

يحدث وهكذا تقابلنا كما نتقابل كل مرة، وذهبنا للتجول فى المدينة كالعادة، ولما مررنا بمحل بيع الهدايا دخلنا دون تردد واتجهنا إلى القسم المخصص لهدايا الخطوبة والأفراح، وقلبت فتاتى عينيها فى الهدايا التى لا تحصى وقالت:

- ليس لدينا من الوقت ما يكفى.

فقلت ببراءة:

- لدينا وقت يكفينا للأبد.

حلم 80

جمعتنا الحجرة القديمة أنا وأمى وأخواتى الأربع وما أن أغلق الباب علينا حتى تصاعدت الشكوى من الزمان والناس، فأقبلت أمى علىّ قلقة وأقسمت بكل يمين أنه ما من قول قالته أو فعل فعلته إلا بدافع الحب الخالص فتساءلت أصوات: إذا كيف حدث ما حدث؟

فقالت أمى بعتاب: عليكم أن تحاسبوا أنفسكم أيضاً وألا تقولوا معى إنه المقدر والمكتوب.

حلم 81

أخيراً ذهبت إلى القصر ورجوت البواب أن يبلغ الهانم أن الفائز بجائزتها حاضر ليقدم الشكر بنفسه إذا تنازلت وسمحت بذلك ورجع الرجل بعد قليل وتقدمنى إلى بهو راعنى جماله وضخامته ولم تلبث أن عزفت الموسيقى لحن الإقبال فأقبلت الهانم تتهادى فى أبعادها الفتَّانة فقمت لألقى خطاب الشكر ولكنها بحركة رشيقة من يديها كشفت عن ثدييها وأخذت من بينهما مسدساً أنيقا وصوبته نحوى فنسيت الخطاب... وأخذت أنصهر من قبل أن تلمس الهانم زناد المسدس.

حلم 82

أسعدنى جدا أن يتولى شئون المؤسسة المدير الجديد على الرغم من أننى لم أشارك فى انتخابه. ولكن كلما أثنيت عليه، تصدى لى إخوان بالسخرية، فسرت حائرا بين الإعجاب من ناحية والسخرية من ناحية أخرى ولكنى رفضت اليأس رفضاً تاما.

حلم 83

رأيت الكارتة مقبلة حاملة فاتنة درب قرمز ويجرها جواد مجنح، اتخذت مجلسى فيما وراءها وفرد الجواد جناحيه فابتدأت ترتفع حتى علت الأسطح والمآذن، وفى ثوان وصلنا

قمة الهرم الأكبر وأخذنا فى عبوره على ارتفاع ذراع، فجازفت وقفزت إلى قمته وعيناى لا تتحولان عن الفاتنة وهى تعلو وتصعد، والليل يهبط والظلام يسود حتى استقرت كوكبا مضيئا.

حلم 84

رأيتنى فى شارع الحب كما اعتدت أن أسميه فى الشباب والأمل. ورأيتنى أهيم بين القصور والحدائق وعبير الزهور. ولكن أين قصر معبودتى؟. لم يبق منه أثر. وحل محله جامع جليل الأبعاد. رائع المعمار. ذو مئذنة هى غاية فى الطول والرشاقة. ودهشت. وبينما أنا غارق فى دهشتى انطلق الأذان داعيا إلى صلاة المغرب. دون تردد دخلت الجامع. وصليت مع المصلين ولما ختمت الصلاة تباطأت كأنما لا أرغب فى مغادرة المكان. لذلك كنت آخر الراحلين إلى الباب. وهناك اكتشفت أن حذائى قد فقد. وأن علىّ أن أجد لنفسى مخرجا.

حلم 85

هذه محطة ترام وأنا حائر بين أبعادها لانتظار مجئ ترام ما، ولكن ترقبى لسطوع القمر فى النافذة المطلة على المحطة حيث أختلس نظرة بعد نظرة. وأتمادى فى الطلب وما أكثر

الأصدقاء الذين يسألوننى. حتى متى تبقى وحشتى. ولكن أنا فى رحلة لا مفر منها كأنها قضاء وقدر، والحق أنها رحلة شاقة مرهقة وأطول مما تصورت وعند العودة لم يتبين لى إلا قفص مربع هو النافذة ووجدتها بموضعها ولكنها بدت واجمة لا تستجيب ولا تجيب، وكما كنت بالأمس، وقفت تحت النافذة منتظرا غير عابىء بالمارة وأخيرا هبط على صوت حديث كالهمس يتخلله ضحك مكتوم.

ثم سمعت صوتاً يتساءل:

- ما حكاية الرجل الذى يقف تحت النافذة؟

فأجابه صوت ضحكتها:

- إنه يبكى عن ذكرى حبيب ومنزل.

حلم 86

كلفت بحمل رسالة إلى المرحوم الدكتور حسين فوزى، فقلت

له إن معى عرضاً لإعادته فى الخدمة مع زيادة ملموسة فى الراتب. وتخصيص حجرة فاخرة لمقامك.

ضحك الدكتور وقال إنه لا يهمه الراتب ولا الحجرة، ولكن يهمه احترام فكره وكرامته.

ورجعت وفى يقينى أن مهمتى قد فشلت.

حلم 87

فى الصباح الباكر اكتشفت الجريمة الوحشية. وما لبثت وحشيتها أن صارت حكاية على كل لسان. ولكنى لم أجد موضعا للاختباء إذ أن المكان كله يتقاسمه رجال الشرطة وطبيبات المرض النفسى. وأصبحت فريسة للقلق حتى استدعتنى إلى حجرتها كبيرة الطبيبات. وقالت لى الأكثرية هنا يفسرون وحشية هذه الجريمة بالقسوة الكامنة فى طبيعة القاتل. أما أنا فأفسرها بقلة خبرته وجهله للأصول العلمية الحديثة لفن القتل. لذلك قررت إلحاقه بالمعهد العصرى للجريمة. والله ولى التوفيق!

حلم 88

فى قريتنا كل فرد ينتظر رسالة قد تقرر مصيره. وذات يوم تلقيت رسالتى فقرأت فيها أن الحكم صدر بإعدامى شنقا. وذاع الخبر كعادة تقاليدنا. فاجتمع أعضاء نادى القرية وقرروا الاحتفال بالأمر فى حينه أما فى بيتى حيث أعيش مع أمى وإخوتى وأخواتى فقد انشرحت الصدور وعم السرور. وفى اليوم المنتظر دقت فى النادى الطبول. وخرجت أنا من بيتى فى أحسن زينة محاطا بأفراد أسرتى، ولكن أمى شذت عن حالنا فدمعت عيناها وتمنت لو كان العمر امتد بأبى حتى يشهد بنفسه هذا اليوم السعيد.

حلم 89

من موقعى فى الحديقة رأيت سيدة فى الستين مقبلة نحوى متجهمة الوجه وقالت بنبرة غاضبة:

- بسببك خسرت الجائزة.

وتذكرت السيدة ووجهها الحزين ولكنى لم أفهم لقولها معنى واستمرت تقول:

- اللجنة استبعدت قصتى بحجة أنها نسخة من قصتك

المطبوعة منذ أربعين سنة.

وضح كل شئ وعرفت أن الحظ السيئ مازال يتعقب المرأة وواصلت حديثها.

- أقسمت لهم أن قصتى لا يجوز أن تتهم لسبب بسيط وهو أنها قصة حياتى.

فقلت بانفعال:

- صدقت: أنا اقتبست قصتى من واقع حياتك الذى شاركت فيه أسوأ مشاركة.

فقالت وهى تضحك بسخرية:

- فرصة أن أكون ضحية لك فى واقع الحياة لا فى الخيال

حلم 90

تم بناء البيت فكان تحفة معمارية جاء إليها الناس من جميع الأطراف وكل يأمل امتلاكها.. وكثرت المساومات واشتد الجدل حتى شق الجموع عملاق وهو يقول بصوت جهير: إن القوة هى الحل. ووجم الناس إلا واحدا تصدى له فقامت بينهما معركة حامية حتى تمكن العملاق من توجيه ضربة إلى رأس خصمه فهوى فاقد الوعى ثم اقتحم العملاق البيت وأغلق البيت بإحكام. وتمر الساعات فلا يفتح فى البيت منفذ اتقاء للانتقام أما الواقفون فى الخارج فلم يأتوا بحركة مجدية ولكنهم فى الوقت ذاته لم يتفرقوا

حلم 91

فى البدء كانت العربة. كنت أدفعها أمامى بقوة ومرح. وذات يوم وجدت على سطح العربة طفلة فازددت نشاطا ومرحا وتتابع القادمون حتى غطوا السطح فاستنفدوا قوتى ومرحى. وشعر الراكبون بمعاناتى فعزمت على ترك العربة حالما تسنح فرصة طيبة. وبمرور الأيام خلا السطح، رجع إلى أصله. أما أنا فلم أرجع بل ازددت ضعفا وأخيراً ركنت العربة ورقدت إلى جانبها.

حلم 92

وجدت نفسى فى بهو جميل، وبين يدىّ وعاء ذهبى ملئ بما لذ وطاب.

فذكرنى هذا بسمار الليالى من أصدقاء العمر الراحلين، وإذا بى أراهم مقبلين تسبقهم ضحكاتهم المجلجلة. فتبادلنا السلام وأثنوا على الوعاء وما فيه. غير أن سعادتى انطفأت فجأة وصارحتهم بأننى لن أستطيع مشاركتهم حيث منعنى الأطباء من التدخين منعا باتا، وبدت الدهشة على وجوههم ثم ركزوا أبصارهم فى وجهى وتساءلوا ساخرين:

- أمازلت تخاف من الموت؟!

حلم 93

على سطح بيت قريب رأيت أثاثا يرتب وينمق فسألت، قيل لى إن صاحب ذلك البيت حول بيته إلى معهد ثقافى بالمجان قانعا بالمعيشة فوق السطح فأعجبت به وأكبرته وعزمت على حضور بعض دروسه ووجدت المكان غاصا بالبشر وقال الرجل إن درس اليوم سيكون عن الثور الذى يحمل على قرنه الأرض، وصدمنى قوله بشدة ففرت منى ضحكة

ساخرة فاتجهت نحوى الوجوه شاخصة بالغضب. أما الرجل فرمانى بنظرة عابسة وهو يشير صامتا إلى باب الخروج.

حلم 94

خمسة انقضوا علىّ شاهرين المطاوى فسلبوا نقودى وفروا بسرعة مذهلة ولكن بعض ملامحهم انطبعت على ذاكرتى ومنذ وقوع هذا الحادث تجنبت المشى منفردا فى الشوارع الجانبية غير أن الشارع الرئيسى لم يكن يخلو من متاعب. فذات يوم وجدت المرور متوقفا والناس متكدسين على الجانبين وما لبث أن جاء طابور من سيارات عديدة ولما مر أمام ناظرى مؤخرة الطابور لمحت وجها انشق لمرآه قلبى فجعلت أنطق "يخلق من الشبه أربعين".

حلم 95

تمت الموافقة على بدء الرحلة فتلقى الأهل الخبر بالرضى وسارعوا إلى إمدادى بالمال فذهبت من فورى إلى التزرى لتفصيل بدلة على أحدث موضة وقام الرجل بعمله كأحسن ما يكون ولم يكتف بذلك. بل جاء بعمامة أنيقة ووضعها على رأسى وهو يقول: إنه بذلك تصبح البدلة على أحدث موضة.

حلم 96

اشتد العراك فى جانب الطريق حتى غطت ضجته ضوضاء

المواصلات ورجعت إلى البيت متعبا وهناك تاقت نفسى إلى التخفف من التعب تحت مياه الدش فدخلت الحمام فوجدت فتاتى تجفف جسدها العارى فتغيرت تغيرا كليا واندفعت نحوها ولكنها دفعتنى بعيدا وهى تنبهنى إلى أن ضجة العراك تقترب من بيتى.

حلم 97

هذه حجرة السكرتارية حيث أمضيت عمرا قبل احالتي الي المعاش، وحيث زاملت نخبة من الموظفين شاء القدر أن أشيع جنازاتهم جميعا، واسترقت نظرة من داخل الحجرة لأري من خلفونا من الشباب، فكدت اصعق لم أر سوي زملائي القدامي واندفعت الي الداخل هاتفا سلام الله علي الأحباب متوقعا ذهولا واضطرابا، ولكن أحدا لم يرفع رأسه عن أوراقه فارتددت الي نفسي محبطا تعسا، ولما حان وقت الانصراف غادروا مكاتبهم دون أن يلتفت أحد نحوي بمن فيهم المترجمة الحسناء، ووجدت نفسي وحيدا في حجرة خالية..

حلم 98

من موقفي علي اطوار أرسلت بصري الي الحديقة من خلال قضبان السور الحديدية، وهناك رأيت مالكة فؤادي وهي

توزع شيكولاتة علي المحبين فاندفعت جهة باب السور حتي بلغت مدخل الحديقة وأنا ألهث وواصلت الجري في الداخل ولكني لم أعثر للمحبوبة علي أثر فهتفت بحدة لاعنا الحب. وحانت مني التفاتة الي الخارج فرأيت الفتاة في الموضع الذي كنت فيه وهي تتأبط ذراع شاب بدا أنه خطيبها، وهممت بالرجوع من حيث أتيت ولكن أقعدني الارهاق وطول المساءلة وفوات الفرصة.

حلم 99

هذا فناء مستدير تتوسطه نخلة رشيقة وتقوم في جوانبه بيوت صغيرة وعند العصاري تفتح الابواب وتخرج النساء للسمر تحت النخلة ويدور الحديث غالبا حول البنات والزواج، وأنزوي أنا بعيدا لاتابع الحديث بشغف، وعندما يهبط المغيب يعضني الجوع ولم يكن يعلم بحالي سوي صديقة طفولتي تتسلل الي حاملة طبقا صغيرا نصفه مملوء بالجبن البيضاء والنصف الآخر مفروش بالبقدونس، ونتعاون معا علي معالجة الجوع علي أنغام حديث الزواج.

حلم 100

هذه محكمة وهذه منضدة يجلس عليها قاض واحد وهذا موضع الاتهام يجلس فيه نفر من الزعماء وهذه قاعة الجلسة، حيث جلست أنا متشوقا لمعرفة المسئول عما حاق بنا، ولكني أحبطت عندما دار الحديث بين القاضي والزعماء بلغة لم اسمعها من قبل حتي اعتدل القاضي في جلسته استعدادا لاعلان الحكم باللغة العربية فاستردت للأمام، ولكن القاضي أشار إلي أنا ونطق بحكم الاعدام فصرخت منبها اياه بأنني خارج القضية وإني جئت بمحض اختياري لأكون مجرد متفرج، ولكن لم يعبأ أحد بصراخي.

حلم 101

زينا البيت ترحيبا بالابن العائد بعد غياب، أصبح فيه نجما من نجوم المجتمع وأمضينا السهرة في الشرفة التي تمد الشقة بالمنظر الجميل والهواء النقي، واتحفنا العائد بالأشعار والألحان حتي انتصف الليل وفي الصباح وجدت مدخل الشرفة مسدودا بدولاب عملاق فخجلت، ولكن الابن لم يخف حزنه، اذ ثبت له أن أناسا من صميم أسرته لا يستلطفون وجوده ويكرهون عمله الجميل.

حلم 102

أخيرا اهتديت إلي مأوي في الدور التحتاني من بيت قديم، ولكن سرعان ماضفت برطوبته وسوء مرافقه فسعيت من جديد حتي نقلت الي الدور الفوقاني وهو أفضل من جميع النواحي، غير أن السماء أمطرت بغزارة غير معهودة فانسابت المياه من الاسقف فاضطررنا الي تكويم العفش وتغطيته بالأكلمة، وغادرنا الشقة الي بير السلم فشعر بنا ساكن الدور التحتاني الجديد فخرج الينا ودعنا بإلحاح وبشدة الي الداخل حيث الدفء والرعاية.

حلم 103

ماذا جري لبيتنا جميع المقاعد تلاصقت وسمرت قوائمها في الأرض، وخلت الاسقف من المصابيح والجدران من الصور والأرض من السجاجيد، فماذا جري لبيتنا؟

قالوا بأنه اجراء لتأمين البيت لتعدد حوادث السطو علي المنازل، فقلت دون تردد إن السطو أحب الي من القبح والفوضي.

حلم 104

رأيتني في حي العباسية اتجول في رحاب الذكريات، وذكرت بصفة خاصة المرحومة عين فاتصلت بتليفونها ودعوتها الي مقابلتي عند السبيل، وهناك رحبت بها بقلب مشوق واقترحت عليها أن نقضي سهرتنا في الفيشاوي كالزمان الاول، وعندما بلغنا المقهي خف الينا المرحوم المعلم القديم ورحب بنا غير أنه عتب علي المرحومة عين طول غيابها، فقالت ان الذي منعها عن الحضور الموت فلم يقبل هذا الاعتذار، وقال إن الموت لا يستطيع أن يفرق بين الأحبة.

حلم 105

جميع الرجال في حينا يحلقون رءوسهم في صالون عم عبده انجذابا للحسناء الجالسة خلف صندوق النقود، وتمنينا جميعا أن تتحسن حالتنا المالية فنحلق ذقوننا كل صباح في رحاب الجمال، وذات يوم وجدتني أسير في طريق متألق الجمال والنقاء، واذا الحسناء مقبلة نحوي من بعد قريب حتي اذا حاذتني التفتت الي فجأة وأخرجت لي لسانها، وبسرعة مذهلة تحول وجهها الي كتلة خشبية سميكة فذعرت وسارعت مبتعدا، غير أن ترامي الي صوت ضحك فنظرت ناحيته فرأيت الحسناء تراقص الأسطي وهما في

غاية الحيوية والمرح.

حلم 106

غزا الوزارة نبأ بأن انقلابا قد وقع في الصباح الباكر فتجمع الموظفون حول التليفزيون واستمعنا الي البيان الأول، فقال موظف قديم إنه سمع هذا البيان في مطلع شبابه، أما أنا فاكتشف أن زعيم الانقلاب صديق حميم، ومن فرحتي أعلنت الخبر مسترخيا في حبور بأن الحياة سوف تضحك لي، فقال الموظف القديم: إنه قد تضحك لي الدنيا وقد أعدم بدون محاكمة.

حلم 107

يا له من تراحم عجيب، ففي حقيقته يرقد نعش كتب عليه أن هذه جنازة فلان تنفيذا لوصيته، وفلان زميل كريم اشتهر بندب حظه السيىء فعلي كثرة مؤلفاته لا يكاد يعرفه قاريء، وجاء المشيعون والمتفرجون حتي بلغ الكرام المدافن وسط مظاهرة لم تشهده جنازة من قبل، و ماجاء المساء حتي كان اسم الراحل يتردد علي كل لسان.

حلم 108

غادرت القطار الجميل وقلبي مفعم بالأشراق، ولكني وجدت نفسي في خلاء مخيف، فأين إذن الحديقة التي لا يوجد مثلها في البلاد؟!

وأدركني رجل وجيه تذكرت وجه الرجل الذي تزوج من حبيبتي منذ سنوات فاعتذر عن التأخير في بدء العمل لتعاقب الحروب وأكد أن الرأي استقر نهائيا علي أن يعود هذا الأسبوع وعلي أن يتم تمامه في شهر واحد تعود بعده الحياة لأجمل صديقه في الوجود، وبخلاف المتوقع فإنني صدقته أملا أن يجيء يوم تجمع الحديقة بيني وبين حبيبتي كما جمع بيننا حي واحد في الزمان الأول.

حلم 109

هذا تلميذي يتلقي عني علوم الموسيقي والألحان وسرعان ما أصبح تلميذي نجما ثريا، وظللت أنا في الظل منسيا فتركت عملي الجميل الشاق واشتغلت بتدريب الآثار، وكف تلميذي عن التعليم والعلم وأدمن المخدرات وعرض صوته للتلف، وحدث أن جمعنا حفل ساهر فلا هو عرفني ولا أنا عرفته، وأخذت أتساءل مع كثيرين عن تدهورنا وما جري لنا.

حلم 110

إنه مشوار مرهق وعند نهايته وجدت بوابة مغلقة فاستجمعت قواي وجعلت أرفعها حتي استجابت، فرأيت وراءها بحيرة تنطلق منها صواريخ كلما بلغ صاروخ الفضاء في الفجر باعثا من الظلمة وجها عزيزا محبوبا امتلأ الفضاء بالأحبة، ومع ذلك فمازلت أنتظر سطوع الوجه الذي علمني العشق وألهمني الخلود.

حلم 111

في الجو غيم وفي الصدور قلق ويترامي إلينا من بعيد لا يتوقف، وقال صاحبي وهو يحذرني بأنهم يستهدفون حياتنا فقلت له إني عرفت أخيرا سبيل الخلاص، ولا أنكر أنه وعر كثير المقاومة ولكن ليس عندي خير منه فاتبعني إن شئت، وتفكر صاحبي طويلا ثم تبعني وهو يقول إن الأعمار بيد الله وحده!

حلم 112

يا لها من ضوضاء، فثمة أصوات متضاربة وخطوات تهرول

حينا وتركض حينا وصرخة هنا وصرخة هناك وطلقات نارية وامرأة تستغيث بالله، أذهلني التشابه بين صوته وصوت المرحومة أمي، ومن فوري هرعت إلي السطوح حيث اجتمع إخوتي وأخواني وتحدث أخي الأكبر عن الاستغاثة والصوت، فقال لي بتيقن بأن الصوت هو صوت أمجنا دون غيره وليس آخر يشبهه.

حلم 113

أخيرا حضر الوزير الجديد فقدمت له نفسي باعتباري سكرتيره البرلماني، ولكنه لم يفهم كلمة من كلامي فحاولت شرح عملي ولكنه نهرني بحدة وأمر بنقلي من وظيفتي، وهكذا بدأت المعاناة في حياتي، ثم شاء القدر أن يجمع بيني وبين الوزير في مكان خير موقع وهو السجن، وبعد أن أفقت من ذهولي أخذت أذكره بلقائنا الأول وما جري فيه حتي تذكر وتأسف واعتذر، وانتهزت وجودنا في مكان واحد كي أشرح له عمل السكرتير البرلماني.

حلم 114

جاءت الشغالة الجديدة مصحوبة ببعض أقربائها وكأنهم أرادوا أن يشاهدوا المكان وأهله لتطمئن قلوبهم علي ابنتهم

الوسيمة، غير أن الوسيمة لم تمكث عندنا إلا نصف يوم، ثم ذهبت تاركة في النفوس غضبا وبلبلة، حتي كان ذات مساء فرأيتها تخرج من عمارة قريبة وهي علي حال من الانحراف الصارخ فصعقتني الحقيقة الغائبة وأدركت عم كانوا يبحثون في اللقاء الأول.

حلم 115

في البدء التهب الخصام حول إصلاح البيت بين الساكنة في الدور التحتاني ومالكة البيت المقيمة في الدور الفوقاني وترامت الأصوات إلي الحارة الصغيرة ففتحت نوافذ وأبواب وأيد البعض مالكة البيت. أما الكثرة فأيدت الساكنة، واحتدم الجدل ثم تطايرت الشتائم حتي أنذر الغضب الأحمر بسفك الدماء.

حلم 116

ذهبت لتهنئة صديق قديم علي الوزارة، ولكن بخلاف المتوقع قوبلت في المكتب بفتور واضح ثم طال انتظار المقابلة دون جدوي، فتسلل إلي ظني أن بعضهم افتري علي

فرية أفسدت الود القديم، وأخيرا غادرت مجلسي لا أري ما بين يدي واستقبلني زميل.
يبقي علي وده وقال لي إن لعنة الله علي ألسنة السوء فسألته ولم لم يقابلني ويتحقق من الأمر، فقال إنه مضي زمن والقانون معطل اكتفاء بأقوال الشهود.

حلم 117

كنت جالسا في المقهي وإذا بفتوة الحي يجلس إلي جانبي دون استئذان فرحبت به مرغما فقال: إنه اختارني للزواج من ابنته المطلقة، فارتعشت أطرافي وقلت: إنني سأتزوج من ابنة عمي في نهاية الأسبوع، فقال ببساطة وثقة: أنت ستتزوج من ابنتي وأنا سأتزوج من ابنة عمك.

حلم 118

وجدتني في ميدان محطة الرمل المزدحم دوما بالبشر، ولمحت في ناحيته الرجل الذي تردد كلماته الألوف وهو يغازل غانية، فهمست في أذنه "إذا بليتم فاستتروا" فقال: وهل ثمة ستر أقوي من ملابسها.؟!

حلم 119

وصلت إلي المحطة في الوقت الحرج واتخذت موقعي في الطابور الممتد إلي شباك التذاكر. ظللنا بين القاطرة والشباك حتي انطلقت صفارة الإنذار الأخيرة ومازلت علي مبعدة من الشباك، وهكذا فاتني القطار.

حلم 120

قمنا برحلة إلي المملكة التي تغني بروعتها الشعراء، وهناك انضم كل فرد إلي المرشد الذي اختاره يتنقل به من مشهد إلي مشهد ومن جبل إلي بحيرة ومن متحف إلي مقبرة، وقال المرشد: إنه لم يبق من الرحلة إلا الحديقة البللورية، ودعنا الي شيء من الراحة والتأمل كي لا يصدمنا الانبهار فسألنا: وهل ثمة انبهار يفوق ما شاهدنا من أحياء وأشياء، فابتسم المرشد وواصل السير ونحن في أثره.

حلم 121

رأيتني أسير في شارع كورنيش الإسكندرية مستهدفا العمارة التي أري في إحدي شرفاتها السيدة الأنيقة بصحبة زوجها وأبنائها الشبان، فلما فتر الهدف ذاب المنظر ذوبانا

سحريا ناعما حتي اختفي وحل محله شارع العباسية، ومازلت أسير نحو العمارة الجديدة التي تطالعني من إحدي نوافذها الفتاة التي لا تنسي، ولكني وجدت النافذة خالية فقررت الانتظار كالعادة في محطة الترام، ولكني لم أجد للمحطة أثرا ولا لقضبان الترام أثرا علي طول الشارع.

حلم 122

الليل سجي فاحتوتنا غرفة وهبتنا الظلمة راحة عابرة وفرحا حميما، وترامي إلينا من الطريق ضجة، فهرعت إلي خصاص النافذة فرأيت قوما يحدقون بشخص مألوف الهيئة وينهالون عليه باللعنات واللكمات، وهو مستسلم لم يقاوم حتي شعرت بالكلمات تخرق جسدي.

حلم 123

هذا ميدان الأوبرا وفيه أسير متجها نحو مقهي الحرية، فأدهشني أن أجدها خالية من روادها اللهم إلا شخص منكب علي قراءة أوراق مبسوطة بين يديه، وسرعان ما تبين لي أنه أستاذي الشيخ مصطفي عبدالرازق، فانشرح صدري واندفعت نحوه مشتاقا إلي لقاء حميم غير أنه التفت إلي

متجهما فهبط قلبي، وأشار الأستاذ نحو الأوراق وقال لي: آسف إنه قرأ اسمي بين شهود الإثبات، فلم أدر ماذا أقول ولا كيف أعتذر؟

حلم 124

كثيرا ما اجتمعنا بمكان بقع بين الحقول من ناحية والطريق العام من ناحية أخري، وحتي قال لي صاحبي إن هذا الموقع لا يضمن السلامة في كل الأحوال، ومن لحظتها سكن القلق في صدري حتي استيقظت ذات صباح علي ضجة وصياح، فقمت إلي النافذة فرأيت جموعا لا يحصرها حصر وجماهير لم أميز فيها سوي الغضب الأحمر.

حلم 125

توجهت إلي مسكني فوجدته يمور بالحركة ولا شيء من الأثاث في موضعه، وثمة غلمان وبنات لا أعرفهم يلعبون هنا وهناك دون أن يحسوا بحضوري فانقبض صدري، ودلفت إلي الشرفة المطلة علي حديقة قريبة مني، وفيها شجرة ضخمة تمتليء أغصانها بالعصافير المزقزقة، وكانت

الزقزقة وحركة العصافير قد أنستني كل شيء غير صوت العصافير وهي تغرد.

حلم 126

ذهبنا لتهنئة الوزير الجديد بوصفنا أصدقاء قدامي فرحب بنا، ووجدنا أحباء آخرين فرجعنا معهم إلي عهد الصبا، وفي الصباح التالي أذاع الراديو البيان الأول لحركة الجيش، وعندما ذهبنا إلي السكرتارية للترحيب قال لنا لا تسهبوا في الترحيب قبل أن تعرفوا القادم.

حلم 127

في حديقة هذه الفيلا نجتمع مساء للسهر والسمر في حرية شاملة، ولكن صاحب الحديقة تغير فجأة فاستبد بكل شيء، فهو يختار موضع الجلسة وموضوع الحديث والأكل والشرب، وحسبناها دعابة ولكنه استمر وتمادي فضقنا به ذرعا غير أننا اخفينا مشاعرنا إكراما للموقف. إلا واحد لم يستطع إخفاء مشاعره، وذات مساء انفجر غضبه المكتوم وجن جنونه فصرخ، وأخرج من جيبه مسدسا صوبه نحونا بيد مرتجفة فتفرقنا في الحديقة تطاردنا لعناته وشتائمه.

حلم 128

هذا محل لبيع التحف يتألق نورا وبهجة، وتجلس في خدمة ضيوفه شابة آية في الجمال، وطفت به حتي صادفني مطعم صغير فتناولت ساندوتشا ودخنت سيجارة والتفت لرؤية الشابة الجميلة، لكني وجدت مكانها امرأة طاعنة في السن فانقبض صدري وأرسلت ناظري باحثا عن الجميلة، فمضيت في حيرة بمرآة فوقها مشهد به صورة عجوز يتوكأ علي عصا غليظة قد أعياه المشي والقلب والذاكرة.

حلم 129

مازلت في صباحي مستوصيا بالصبر والعزم والاستمرار حتي بلغت مرتفعا أوحي إلي بأخذ شيء من الراحة، وهنا لمحت صبيا يكافح للصعود، فرق له قلبي ومددت له يدي، ولكنه جذبني بقوة لم تجرني في جناحه، فهربت أتدحرج ولا أملك لنفسي شيئا.

حلم 130

صحوت من نومي علي أصوات تناديني غير عابئة بوقار

الليل، وسرعان ما عرفت منها أصوات صديقات الزمان الأول، وكن يذكرنني بالميعاد الذي لم أنجزه فتلفحت بالروب وهرولت إلي الخارج، ولكني وجدت الشارع خاليا والصمت سائدا.

حلم 131

لقاؤنا في هذا الركن من الغابة وحياتنا طرب مستلهم من المواويل، وسماؤنا سحب من دخان رقيق عاطر، ونحن كأننا نائمون أو غافلون، وذات يوم اقتحم هدوءنا غناء غريب مجنون الإيقاع شديد الصخب فذهلنا ورأي بعضنا إسكاته ولو بالقوة علي حين آثر البعض التأمل والحكمة، وعلي أي حال فقد استيقظ النائمون وتخفر الغافلون.

حلم 132

هي وأنا ماضيان كالعادة إلي ملهي، وفي الطريق استأذن دقيقة ريثما يشتري سجائره ولما رجع لم يجدها فعلم علي ظنه إنه سبقته إلي الملهي المتفق عليه فذهب إليه ولكنه لم يجدها، فراح ينتقل من ملهي إلي ملهي باحثا عنها، وحتي هذه اللحظة لم يكف عن البحث.

حلم 133

جائزة مقدارها مائة جنيه لم أعرف قبلها من النقود إلا راتبي الصغير، فأملت أن تكون الخطوة الأولي في طريق الثراء. فم من زميل بدأ من الصفر ثم أصبح من كبار الأغنياء، وسألت أحدهم عن الوسيلة فضحك وقال لا تسل عن الوسيلة فلايجهلها أحد، ولكن سل عن الشخص والزمن.

حلم 134

جمعتنا المواعيد في الطريق الزراعية، فجعلنا ننشد الأشعار ونغني ما طاب لنا من الألحان حتيسرقنا الوقت، فغاب قرص الشمس ونحن لا ندري، فتذكرنا أنه عند هبوط الظلام يترامي إلينا عواء الذئاب من جهات كثيرة..

حلم 135

اشتقت لرؤية أهلي فانتقلت من فوري إلي البيت القديم، وهالني بأن أجده غارقا في الظلام كأنهم استأنسوا بالظلمة،

فناديتهم معاتبا رجلا رجلا وامرأة امرأة، ولكن لم يجبني أحد.. رجعت أكرر النداء حتي دمعت عيناي..

حلم 136

رقد جثمان أختي علي الفراش، وقفت أمامه ومعي حبيبتي خاشعين، علي حين تربعت علي الفراش صبية جميلة تغني غناء شجيا، وجري الزمن فأصبح الجثمان الراقد علي الفراش، وهو جثمان حبيبتي، ووقفت أنا وأختي أمام الفراش خاشعين، واصلت الصبية في موضعها تغني غناءها الشجي.

حلم 137

يالها من حديقة لا أول لها ولا آخر يقطر من سمائها الصفاء وتتواري أرضها تحت الشجر، وجلسنا في ظل شجرة لنأكل ونشرب، وإذا بصوت يخبرنا بأن المغنيات والراقصات آتيات آتيات، وصوت آخر يحذرنا من الاستماع الي الأمثال والحكم التي تذم بصلب الدهر وتحدي الأيام، وقال إن حسبكم هذه الأشجار المثقلة ثمارها بالهناء والسرور.

حلم 138

شارع طويل عريق وأنا أسير فيه علي مهل غافلا عما حولي، وأذ بيد تربت علي كتفي، فالتفت أمامي فرأيت امرأة آية في الجمال والرشاقة ودهشت فابتسمت فابتسمت فأسرعت نحو بيت أنيق أخضر، فاستقر رأيي علي أن أتبعها، ولكنني التفت حولي لحظة ليطمئن قلبي، وفي هذه اللحظة تدفق جنود الأمن حتي سدوا الطريق سدا وتعذر عليُض التقدم، ولكن عينيَّ لم تتحولا قط عن البيت الأنيق الأخضر.

حلم 139

هذا معرض اشتهر بصوره الفنية التي تتغير شكلا ومضمونا كلما اقترب منها المشاهد، وأول ما طالعني صورة غابة آية في الجلال ولما اقتربت خطوة تلاشت الغابة وحلت محلها صورة امرأة عارية متعددة المحاسن، وعند الخطوة التالية غابت المرأة وظهرت محلها صورة معركة حامية الوطيس اشتعلت فيها كافة أنواع الأسلحة من الأحجار وحتي الالكترونات.

حلم 140

هذه امرأة ثرية المحاسن ما إن رأيتها حتي غازلتها، وإذا بزوجها ينقض علي ويأبي أن يتركني إلا في القسم، ولكن تداخل رجل من حينا اشتهر بين خاصة معارفه بالدعوة الي الحرية المطلقة، ففررت بعد أن لقنني درسا لا ينسي ويتجسد لي كلما قابلت امرأة، حتي رأيت نفسي وجها لوجه مع المرأة الجميلة فهممت بالجري، ولكنها أقبلت علي باسمة وتأبطت ذراعي وهي تهمس بأن زوجها اعتنق أخيرا دعوة الحرية المطلقة.

حلم 141

هذا حينا القديم الجميل، وهذا أنا أجول في أركانه حاملا في قلبي ذكرياته، ثم خطر لي أن أقيم في البيت القديم حتي تخف أزمة المساكن، ولكن تبين لي من أول يوم أنه لم يعد صالحا للحياة الحديثة.

حلم 142

هذه القطعة من الأرض الفضاء هي ميراثي الوحيد، وقد أطلق عليها اسم الخرابةلطول ما عانت من إهمالها، وما أن رزقت بعض المال حتي فكرت جادا في تعميرها، ولكني لم أقدم لكثرة ما عرفت من حوادث النصب وفساد الذمم، حتي

سألت جاري الحكيم: ألايوجد في الدنيا شخص خير؟ فأجابني بأنه موجود، ولكن يتطلب العثور عليه عزما وشجاعة وبحثا لايتوقف.

حلم 143

سمعت صوتا غير مألوف فمرقت بسرعة إلي فناء العمارة فرأيت رجلا غريبا أثار في نفسي الريب، فناديت البواب ولقت نظرة إلي الرجل الغريب، فأخبرني بهدوء أنه موظف ويؤدي واجبه الرسمي وهو أخذ الزائد من الأفراد من المساكن المكتظة وينقلهاإلي مسكن يتسع له، فاعترضت قائلا إنه يأخذ فردا من أسرة ويخلف حزنا وينقله علي رغمه إلي مكان لايرحب به، فقال البواب بأن هذا هو القانون ونحن لا نملك حياله إلا الإذعان والتسليم.

حلم 144

نظرت في ظمات الماضي فرأيت وجه حبيبتي يتألق نورا بعد أن دام غيابها خمسين سنة، فسألتها عن الرسالة التي أرسالتها لها منذ أسبوع، فقالت إنها وجدتها مفعمة بالحب ولكنها لاحظت أن الخط الذي كتبت به ينم عن إصابة كاتبه

بداء الخوف من الحياة وبخاصة من الحب والزواج، ولما كنت مصابا بنفس الداء فقد عدلت عن الذهاب إليك وفكرت في النجاة فلذت بالفرار

حلم 145

هذا مهرجان عظيم جمع العديد من رموز الأمم، وناداني رئيس المهرجان وسلمني كرة وهو يقول إنها هدية المهرجان لك وهي من الذهب الخالص، وأنهالت علي التهاني، ولما رجعت أعلنت نيتي علي التبرع بنفس الهداية لأعمال الخير فجاءوا بمنشار وأخذوا يقسمونها، ولما وصل المنشار إلي باطن الكرة دوي المكان بانفجار مزلزل وتطايرت شظايا الضحايا من الإنسان والحيوان والنبات والجماد.

حلم 146

انتصر العدو واشترط لوقف القتال أن يتسلم تمثال النهضة الذهبي المحفوظ في الخزانة التاريخية، وذهبت مع فريق لنحضر مفتاح الخزانة المحفوظ بالصندوق الأمين، ولما كشفنا غطاء الصندوق تبدلينا ثعبان مخيف ينذر بالموت كل من يدنو منه، فتفرقنا وأنا أداري فرحتي وأدعو للثعبان

حلم 147

دُعيت لاجتماع عاجل لسكان العمارة وهناك أطلعونى على قرار صادر ضدى بإخلاء الشقة ورحت أناشدهم العدل وأناشدهم الرحمة حتى قال لى صاحب العمارة إنه لم يعقد هذا الاجتماع للبحث عن العدل والرحمة ولكن للتأكد من مطابقة القرار للقانون.

حلم 148

اشتدت المنافسة بين القطارات وبين سيارات الطرق الزارعية وأخيرا اجتمع المسئولون عن القطارات وقرروا تخصيص عربة قطار للعربدة والنساء فى نطاق الحرية المطلقة، كما قرروا إنشاء صالة فى كل عربة قطار للشرب والغناء والرقص ورحت أشرب وأغنى وأرقص منتظرا فرصة للتسلل إلى عربة المسرات.

حلم 149

اجتاحت الثورة المدينة وقتل الملك وهو يدافع عن مدينته وسرعان ما أولمت وليمة فاخرة لقادة الثورة ودعت الملكة زعيمها إلى جناحها الخاص وهناك استقبلته عارية تماما كاشفة عن مفاتنها

حلم 150

اشتدت الأزمة حتى أشفى التاجر الكبير على الإفلاس ولم يجد من يقرضه فى طبقته التى أنهكتها الأزمة ولكن تقدم بياع العرقسوس بقرض دون فوائد ولما حان وقت السداد بلغت الأزمة ذروتها حتى فكر التاجر فى الانتحار ولكن أسعفه بياع العرقسوس بقرض جيد، وطلب منه أن يعتبر القرضين مهرا لابنته وقالوا إن التاجر وجد أخيرا حلا لأزمته فقال بياع العرقسوس فى سره أنه أيضا وجد حلا لأزمته التى لم يبح بسرها لإنسان.

حلم 151

كنا نجلس حوله للسمر الممتع والمفيد تحت الشجرة ويوما استأذن منا دقيقتين لتناول الدواء وصعد إلى شقته ولكنه غاب فأرسلنا أحدنا ليطمئن عليه فوجد الشقة مغلقة بالقفل من الخارج. ومن ثم بدأت رحلة البحث غير المجدية عنه فى جميع مناطقه، وأخذ يساورنا القلق يتساوى فى ذلك

المحبون والكارهون والمستفسرون، أما إمام المسجد فقد دعا إلى أداء صلاة الغائب على روح الغائب.

حلم 152

ذهبت مدعوًّا إلى الدار الشهيرة فى الاحتفال بعيدها الذهبى وهناك وجدت البهو مكتظا بمختلف الطوائف وجميع أصناف الكلاب ووقف الداعى فرحب وشكر ورجع إلى الذكريات التى لا تنسى حين هجم عليهم كلب متوحش وكاد يفتك بهم جميعا لولا أن تصدى له رجل جسور فألقى بنفسه عليه ولأول مرة يعض آدمى كلبا حتى امتص منه وحشيته فتغيرت الطبيعة الكلبية وتغيرت معاملة الكلاب للبشر وهاهم يجلسون جنبا إلى جنب فى سلام ويتناولون الحلوى وفى الختام وقفوا جميعا وتغنوا بنشيد بلادى بلادى.

حلم 153

رأيتنى فى قارب شراعى مع نخبة من صفوة القوم تحدق بنا المياه من كل جانب فانقبض صدرى لجهلى التام بالسباحة وارتفع الموج من صمت عميق ينذر بالانفجار فألقت الصفوة بنفسها فى الماء وراحت تسبح بقوة ورشاقة وازددت أنا انتباها وتذكرت الوقت الطويل الذى ضاع فى اللهو وكان بعضه يكفى لتعلم السباحة والتدريب على الإنقاذ من الغرق.

حلم 154

دفعتنى أنا وصديقتى المذيعة أمواج متلاطمة من البشر حتى توقفت فى ميدان صغير أمام سد من البشر لا يسمح بنفاذ إبرة ونظرت فرأيت فى الجهة المقابلة محل الحلوانى الذى اعتدت أن أفطر فيه ولكنى لم أستطع الحركة وقلت لصاحبتى إن برنامجها عن النصر سيتعطل قليلاً، فقالت: على كل حال أنا عندى خبر مثير، فقد مات فى الزحام المجاهد الكبير مكرم عبيد فخفق قلبى حزناً على موت البطل وهناك رآنى نادل محل الحلوانى فوضع بعض الأرغفة فى كيس من الورق ووقف على كرسى ورماه من فوق الرؤوس فتلقفته بلهفة وفتحته ولكن يد صاحبتى سبقتنى إليه وهى تهمس بالمعذرة، وأنا أكاد أموت جوعاً، ثم مددت يدى داخله فلم أجد سوى بعض المخلل الأفرنجى.

حلم 155

بلغنى أن نزلة برد خفيفة ألمت بأستاذى الجليل الشيخ مصطفى عبد الرازق فقررت أن أعوده ولكنى وجدته واقفا على باب دارى والدموع تنحدر على خديه فهالنى منظره الحكيم إذا بكى وقلت له: يا مولاى ما هى إلا وعكة خفيفة لا تستحق الدموع، فقال لى: أنا لا أبكى على حالى فأدركت ما يعنى من أن البكاء على حالنا نحن وانتهزت الفرصة وسألته

عن العباد؟ فقال: عندكم الكثير من الصيدليات مليئة بالأدوية إضافة إلى الوصفات الشعبية المجربة.

حلم 156

أخيراً تنمرت القطة الوديعة وهاجت رياح الغضب وتساقط الشرر يشعل الحرائق حيثما وقع ولن أجد من أكلمه إلا الرياح فقلت لها عندنا وسائل سلمية كنا على وشك استعمالها، فقالت ما فات وقته تعطل فعله واستمرت زمجرة الرياح وتساقط الشرر.

حلم 157

لم يبق فى الحياة إلا أسابيع فهذا ما قرره الفحص الطبى فحزنت حزناً شديداً ثم تملكتنى موجة استهتار فأقبلت أتناول الأطعمة التى حرمها علىّ الأطباء من سنين ولازمت صديقتى "س" وعرضت عليها الزواج فدهشت وقالت لى: إنك تفقد صداقة بريئة عظيمة ولا تكسب شيئاً فألححت عليها حتى رضخت وبعد يومين جاءنى صديق طبيب يخبرنى بأن هناك أخصائياً عالمياً سيزور مصر وأننا حجزنا لك مكانا عنده فهنيئاً لك بفرحة الحياة وغمرنى سرور من رأسى لقدمى غير أننى تذكرت الأطعمة الضارة التى التهمتها والزواج الذى قيدت به نفسى على غير رغبة فشاب فرحتى كدر وقلق.

حلم 158

كلفنى الوزير بالتنقيب فى مخزن الفن التشكيلى بالوزارة تمهيداً لإقامة معرض فأخذت مجموعة من الفراشين لإزالة الغبار وقتل الحشرات ولاحظت وجود لوحة كبيرة مغطاة فأزحت الغطاء عنها فطالعتنى صورة الزعيم سعد زغلول جالساً على كرسى الرياسة وشابكاً يديه فوق عصاته.
فتأثرت لإهمال الزعيم الذى تربيت فى مدرسته الوطنية وإذا بالحياة تدب فى الصورة فترمش عيناه ويبدل يديه فوق العصا ويتجلى فى عظمة لا مثيل لها وسرعان ما جاءت الوفود من أبناء جيله تحييه وتشكو إليه ما أصابها من ظلم وسرعان ما نسيت تعاليم الوزير والمهمة التى انتدبت لها وانضممت إلى أكبر مجموعة وهى التى كان يتقدمها مصطفى النحاس.

حلم 159

تلقى بعض الحرافيش دعوة من الأستاذ سعد الدين وهبة فذهبنا إلى مقابلته وهناك رحب بنا وأطلعنا على بيان سيرفعه إلى كبار المسئولين لتطهير الهيئة من الساسة المنحرفين ودعانا إلى التوقيع عليه بإمضاءاتنا فاستجبنا بحماس وعند فجر ذلك اليوم اخترق بيوتنا زوار الفجر وساقونا معصوبى الأعين إلى المجهول.

حلم 160

عرفت بمصادفة أنى أستطيع الرؤية خلف الأبواب المغلقة فدهشت وسررت وذهبت إلى البهو فوجدت الإخوان ملتفين حول مائدة القمار ودعتنى الفتاة التى تقدم المشروبات إلى كرسى خال فجلست وأنا مطمئن ونظرت إلى ظهر الأوراق فرأيت باطنها فضمنت الربح ولكن صوتاً قال لى: إن الذى أعطاك هذه الموهبة قادر على استردادها إذا استعملتها فى الشر فانسحبت من الجلسة إلى البوفيه وفى آخر الليل جاءتنى الفتاة لتخبرنى أن الذى كسب المائدة وجُد قتيلا مسروقا فدهشت ثم قالت الفتاة إنها كرهت هذه المهنة فمددت لها يدى ومدت لى يدها وسرنا معاً دون مقاومة.

حلم 161

فى البدء حامت حولى فتاة صغيرة رشيقة ثم أخذتنى من ذراعى إلى ركن منزوٍ توجد فيه عربة كارو مركَّبٌ فيها حمار وصعدت إليها وأشارت إلىّ فصعدت وتربعت إلى جانبها وتناولت اللجام وحرَّكته بخفة فقد صار الحمار يشق

طريقه ببطء شديد وسط زحام الناس والمركبات حتى بلغ الطريق الصحراوى فأخذ يسرع ويسرع حتى سبق السيارات والأوتوبيسات وكأنه يطير طيراناً فذهلت وسألت الفتاة: إلى أين؟ فأجابت: إلى المكان الذى تخور فيه قوى الحمار فيتوقف.

حلم 162

قررت أن أسير من جنوب الوادى إلى شماله مشياً على الأقدام وقابلتنى فى أوائل الرحلة رفيقة الطفولة والصبا وقد سمنت سمنة مفرطة ونصحتنى بأن أتزوج عوضا عن هذه الرحلة العقيم فشكرتها وواصلت السير حتى قابلت صديقى متربعا على سجادة الصلاة فدهشت وذكرته بأيام العربدة والإلحاد فقال لى: الهداية من الله سبحانه ودعانى إلى الجلوس إلى جانبه فوعدته خيرا وواصلت السير وفى منتصف الطريق أقبلت علىّ وحيتنى قائلة: إننى طاردتها بنظراتى حتى استجابت وانتظرت أن تتقدم لأبى ولكنك لم تخط خطوة واحدة بعد النظر فما سر ذلك؟ فقلت لها: إنى مازلت أتساءل مثلك وواصلت السير حتى بلغت الشمال منهك القوى متورم القدمين فرأيت الحبيبة الخالدة نصفها مغموس فى مياه البحر الأبيض والنصف الأعلى يضئ الأمكنة من حوله وسألتنى بصوتها الرخيم ماذا جنيت من

هذه الرحلة الشاقة؟ فسألتها بدورى كيف يدوم حب بلا أدنى أمل طوال هذا العمر المرير.

حلم 163

ميدان المستشفى بالعباسية شاهد أول لقاء لى مع الآنسة "ر" واشتعل الحوار بين الحب واليأس حتى حسمته بقولى: الحب وحده لا يكفى، وكان اللقاء الثانى فى جزيرة الشاى ولكنه كان مع الأرملة "ر" التى قصدتنى لخدمة تتعلق بوظيفتها وأيقظ اللقاء العواطف الكامنة فتطرق الكلام إلى حوار بين الحب من ناحيتى واليأس من ناحيتها حيث كانت ترعى أربعة أبناء وحسمت الحوار بقولها: إن الحب وحده لا يكفى.

حلم 164

هذا بيت صديقتى الست "ح" وقالت لى ابنة أختها إنها عند الدكتور وأرادت أن تعد القهوة فأمسكت بيدها وجذبتها إلى جانبى وأوحى لنا خلو المكان بما أوحى وإذا بالست "ح" تفاجئنا فتغير وجهها وقالت للفتاة ارجعى إلى أمك فى الحال وحدجتنى بنظرة حجرية وغادرت المكان وأمطرت السماء فأشفقت على الفتاة وغادرت البيت مستهيناً بكل شئ

واخترقت المطر وأنا أناديها وبعد حين سمعت صوت الست "ح" ينادينى وغرق ثلاثتنا تحت المطر.

حلم 165

قرأت فى المجلة مقال نقد قاس لشخصى وأعمالى بقلم الأستاذ "ع" وإذا به يمثل أمامى معتذرا ويقول إنه يقصد بالمقال أن يكون أساس حوار بينى وبينه يحدث ضجة تعيد الغائب إلى الوجود فقلت له: من يصدق هذا الحوار وأنت ميت منذ 15 سنة فقال إنه يعتمد على أن الأجيال الحديثة فاقدة الذاكرة.

فقلت له: إن المقال أحب إلى نفسى من الانفعال والخداع!

حلم 166

وجدتنى فى القطار ببلدة النور وكانت العربة خالية فبث الخلو الرهبة فى نفسى وتحسست محفظتى وناوشتنى المخاوف وعند أول محطة أردت النزول فرأيت على رصيف المحطة رجالا تنطق وجوههم بالشر والعدوان فتراجعت إلى

مكانى وقد ازدادت مخاوفى وإذا بفتاة وسيمة تصعد إلى العربة وتجلس غير بعيدة عنى فسألتها هل تحرش بها الرجال فأجابت بأنهم فى غاية التهذيب والأدب فذهلت وساورنى شك فى أنها متآمرة معهم للإيقاع بى وذهبت إلى آخر العربة متحفزا للدفاع ووصل القطار إلى بلدة النور فغادرته إلى أول حديقة من حدائقه التى لا تحصى وهناك هفا علىّ نسيم معطر بروائح الورد والفل والياسيمن والحناء فتسلل إلى جفونى النعاس واستسلمت له متناسيا المحفظة والمخاوف ونمت نوما هادئا عميقا على أنغام موسيقى تأتى من الداخل.

حلم 167

هذه شركة إنتاج وهذا مديرها يخبرنى بأن النص الذى قدمته قبل وأن المخرج قرأه وهو راض عنه وإليك العقد والشيك غير أننا جعلنا النص قسمة فاسمك على القصة واسم الموزع على السيناريو واسمى على الحوار وذلك لصالح الفيلم من الناحية التجارية وقبلت ذلك على مضض وهنا دخل المخرج واطلع على العقد وصاح أين أنا فى هذه القسمة فقال له المنتج يمكن أن تضع اسمك على القصة مع المؤلف فاجتاحنى غضب وقلت أنا متنازل عن القصة كلها ولكن المدير قال لى إنهم يتعاملون مع الناس على أساس

من مبادئ الأمانة والشرف وعليه فلا نقبل حذف اسمك.

حلم 168

هذه حجرة مدير المستخدمين وأنا واقف أمام مكتبه وأسائله كيف تتخطانى فى الترقية والقانون معى مائة فى المائة فقال لى: أقم دعوة وستكسب القضية. وذهبت إلى مدير التحقيقات وقدمت شكوى ولكنه أقر عمل الإدارة ولكن أذهلنى أن وجهه نسخة دقيقة من وجه مدير المستخدمين وذهبت من فورى إلى المحامى وشرحت مشكلتى فوعدنى خيراً ودفعت مقدم الأتعاب ولكن ذهلت أيضا أن وجهه نسخة أيضا من وجه مدير المستخدمين ومدير التحقيقات وذهبت إلى الطبيب ففحصنى بدقة ولكن لاحظت أن وجهه نسخة طبق الأصل من سابقيه وفى آخر النهار رجعت إلى بيتى وفى الطريق شعرت بجسم بارد يوضع على رقبتى وسمعت صوتاً يقول لى من وراء: النقود أو حياتك. فسلمته ما معى من نقود فأخذها وهرب ولما أفقت من اضطرابى سألت نفسى ترى أين سمعت هذا الصوت فمؤكد أنى لا أسمعه لأول مرة فأين ومتى سمعته؟!

حلم 169

وقفت مع المدير العام الأجنبى نشاهد سير الزفة بين الزغاريد والطبول واصطحبنى إلى حجرته فى الفندق وهو

يتساءل عن هذه الضجة التى لاشك تؤذى النزلاء من السواح فقلت له: إنها تقاليد الزفاف المصرى وهى من الموارد الثابتة للفندق فقال إذن اشترط فى العقد ألا توجد ضجة فقلت: لا أستطيع، فقال غاضباً: هذا أمر وعليك تنفيذه وذهبت من فورى إلى الإدارة المركزية وعرضت الأمر على المدير فقال إن هذا الرجل الأجنبى نفعنا كثيراً بعلمه وتجربته فعليك الاتفاق معه أو إقناعه أو تقديم استقالتك ورجعت وأنا أفكر وأتساءل عن مصيرى؟!

حلم 170

جددت البيت القديم الذى ولدت فيه ولما انتهى العمال ذهبت إليه وتفقدت حجراته وتذكرت، ثم دخلت الشرفة ومن خصاص نوافذها رأيت ميدان بيت القاضى وقسم الجمالية وتوابعه والحنفية العمومية وأشجار دقن الباشا ثم سمعت ضجة فى الداخل فدخلت فرأيت زملاء الصبا الذين توفاهم الله يهرعون إلىّ فرحين ثم رددوا أناشيد الصبا الوطنية وإذا بضابط ومعه قوة من الجنود يقتحمون البيت فساد الصمت وسأل الرجل عن الذين كانوا يغنون فقلت ليس فى البيت سواى ففتشوا البيت ثم قادونى إلى القسم وهناك وجهت إلى التهم بالتستر على مجرمين والتحريض على قلب نظام الحكم وقال لى المحامى فيما بعد: اطمئن فليس لديهم دليل واحد

ولكنى لم أطمئن فرحت أتساءل عن مصيرى؟!.

حلم 171

فى هذا البهو يستريح الزملاء وقد جلست ألاعب مدير مكتبى الدومينو وفاجأنا الوزير وأعلن أنه عين مدير مكتبى فى وظيفتى وأحالنى إلى المعاش وارتاع الزملاء وفكروا فى الأمر فاتفق الأمر بينهم أن هذا الأمر مخالف للقانون ولكنهم انقسموا بعد ذلك فرأت فئة الاتصال بالوزير بالحسنى ورأت الفئه الأخرى وجوب إقالة الوزير لاستهتاره بالقانون واشتد الجدل بينهم وانحدر إلى تبادل السباب والشتائم والضرب بالأيدى والأرجل وقلت لهم إن سلوككم هذا قد قضى على قضيتى بالفشل فدفعونى حتى سقطت على وجهى وكان الوزير يتابع مايحدث ويقهقه ضاحكا!

حلم 172

ذهبت إلى الحمام العمومى لأزيل عن جسدى وروحى ما علق بهما ودخلت فى حجرة البخار ووقفت عاريا أنتظر من يدلكنى ولكن دخلت فتاة وسيمة وتعرت عن مفاتنها وراحت تدلكنى برقة ورشاقة واستاء جميع من علم بذلك ولكنى لم

أبال وشكرت الحظ على نعمته!

حلم 173

سار معى موظفو مكتبى فرأيت أقبح مدينة فى الوجود واقترحوا تحسين الشوارع والميادين وإنشاء الحدائق ولما اجتمعت بهم فى مكتبى قلت لهم إن ما يهمنى هو ما ينفع الناس مثل الصرف الصحى والصحة العامة وتوفير المدارس والمياه والكهرباء ثم دعوت الأعيان إلى تقديم ما يقترحون من تسهيلات لاستثمار أموالهم فى البناء والتعمير!

حلم 174

قال لى صاحبى وهو يحاورنى إن المصرى بطبيعته فلاح أو حرفى أما التقدم فى الإدارة والسياسة والعلم .. والحضارة فمرجعه إلى الأجانب أو المتمصرين فقلت: لا دخل للطبيعة فى ذلك ولكن الأجانب والمتمصرين شاركوا فى السلطة والمال ووجدوا الفراغ للإبداع وقد تغير الحال بمشاركة المصرى فى الثورة ضد الاحتلال الفرنسى والثورة ضد الاحتلال البريطانى وتأييد عرابى وسعد زغلول وجمال عبد الناصر فأصبح يشارك فى السلطة وتجلت إبداعاته فى جميع مناحى الحياة!

حلم 175

رأيتنى مدير قسم الأملاك بوزارة الأوقاف واكتشفت أن بعض السكان لا يدفعون الإيجار بالاتفاق مع بعض الموظفين فصممت على استرداد المال الضائع وتحويل المسئولين إلى التحقيق، ولكنى وجدتنى معزولاً ومقدماً للتحقيق بتهمة الإساءة إلى سمعة الوزارة وكانت معركة.

حلم 176

رأيتنى ضابطاً مكلفاً بالقبض على الفنان "ى" والحق أنى كنت معجباً به محباً له رغم احتقارى لإدمانه المخدرات ودعى الفنان لإحياء حفلة غنائية فذهبت إليها ولكننى أجلت القبض عليه حتى يتم غناءه وراح هو يجود ويكرر:

أمانة يا رايح يمه

تبوس لى الحلو فى فمه

وقل له عبدك المغرم ذليل.

حلم 177

أقيم سرادق كبير للاحتفال بالحزب الجديد وظهر فى المنصة الزعيم مصطفى النحاس واستقبل بالهتاف وألقى خطابا

يشرح فيه مبادئ الحزب وفى مقدمتها الديمقراطية والعدالة الاجتماعية والوحدة الوطنية ولما رجعنا إلى المكان الذى نجتمع فيه كل مساء قلت لهم إننى لما رأيتهم يهتفون ذكرتهم بفرحتهم يوم حريق القاهرة وإقالة وزارة النحاس فقال لى أحدهم إن تلك الفرحة هى خطيئتهم الكبرى وأنهم كفروا عنها فى اجتماع اليوم

حلم 178

صدر قرار بأن يتولى الوظائف الممتازة والعليا المصريون ممن ينتمون إلى أصول تركية أو مملوكية فوجدت نفسى فى الشارع أسير على غير هدى حتى نادانى صديقى صاحب دكان الحلوانى وعرض على أن أعمل كاتب حسابات فى محله ولكن جاءنا صوت أبيه من مجلسه بركن المحل قائلا لا تدع العواطف الشخصية تفسد عملك فواصلت السير على غير هدى.

حلم 179

زارنى المرحوم صديقى الحميم وسألنى عن أسباب حزنى فقلت له إن ضعف السمع والبصر حال بينى وبين مصادر الثقافة المقروءة والمسموعة والمرئية فمضى بى إلى دار نشر يديرها أحد زملائنا فى الجامعة وسأله عن كتاب يجمع الأفكار الحديثة فى العلم والفلسفة والأدب فجاءنا بكتاب

ضخم ثم أهدانا طبعة أخيرة من القرآن الكريم قائلا إن التفسير الموجود به غير مسبوق فأخذناها وفى الطريق قال لى صديقى سأزورك كل مساء وأقرأ لك سورة من القرآن الكريم وفصلاً من الكتاب حتى نختمهما فدعوت له قائلا: يرحمك الله ويسكنك فسيح جناته.

حلم 180

رأيت أستاذى الشيخ مصطفى عبد الرازق – وهو شيخ الأزهر – وهو يهم بدخول الإدارة فسارعت إليه ومددت إليه يدى بالسلام فصحبنى معه ورأيت فى الداخل حديقة كبيرة جميلة فقال إنه هو الذى أمر بغرسها نصفها ورد بلدى والنصف الآخر ورد إفرنجى وهو يرجو أن يولد من الاثنين وردة جديدة كاملة فى شكلها طيبة فى شذاها.

حلم 181

قال صديقى وأستاذى وهو يودعنى: رحلة طيبة وإن شاء الله تعثر على هدفك وسرت وانهالت علىّ الخواطر الجميلة التى انعكس جمالها على روحى فحنَّنَ قلوب المحسنين على فلم أشعر بحاجة إلى غذاء أو شراب أو لباس ولكنى لم أنس مدينتى طول الوقت وأخيراً رجعت إليها فسألنى صديقى وأستاذى هل وجدت هدفك فأجبته سأجده هنا بين الآلام والآمال ولكن ببصيرتى الرحالة وبصبرى المقيم.

حلم 182

زارتنا "س" وهى زوجة صديق قديم وكانت يوماً خطيبتى وقالت لى: أنت السبب فى إفلاس زوجى فقلت لها أنه أطلعنى على فكرة وجدتها صالحة كأساس لفيلم سينمائى، ولكنه أبى إلا أن يكتب السيناريو وينتجها بثروته المحدودة مع جهله التام بكتابة السيناريو والإنتاج فكانت النتيجة الإفلاس، فقالت لى: كان يجب أن تنصحه، فقلت لها: نصحته كثيراً ولكنه أصر على الخطأ.

حلم 183

نحن موظفان فى مكتب الوزير ونتطلع إلى المزيد من القرب منه معتمدين على العمل، إضافة إلى أن زميلى يدس لى بما يسئ إلى سمعتى، ولكنى لم أقابل الشر بالشر إيماناً بأن القرب يقتضى النقاء، وبعد اعتماد الميزانية أصدر الوزير قرارين الأول بنقل زميلى إلى وظيفة أخرى بالوزارة، والآخر بتعيينى سكرتيراً برلمانياً للوزير وهو عمل يتيح لى مقابلة معاليه أكثر من مرة فى الأسبوع فأدركت أنه عليم بما يجرى فى مكتبه.

حلم 184

قرأت مقالة الكاتبة "ك" التى تتضمن نقداً لاذعا لى ثم رأيتنى أسالها فى النادى ألا تذكرين كيف وقفت إلى جانبك فى محنتك؟ فقالت: لا يمكن أن أنساها إذ كنت الوحيد الذى تصدى للدفاع عنى ضد هجمات النقد الشرسة على كتابى، ولكن بعد فترة هدوء وتأمل تبين لى أن النقد كان على حق، وأنى استعملت الجنس لأغراض تجارية ولكنك دافعت عنى لغرض فى نفسك نلته، فسقطت فى نظرى، فلقتنى قولها درساً قاسيا!

حلم 185

هذه الإسكندرية واليوم وقفة العيد الصغير وأنا أتنقل من سمسار إلى سمسار فلم نعثر على حجرة خالية فقررت يائسا الرجوع إلى القاهرة، وفى محطة الرمل قابلت صديقى "أ" فلما علم بمشكلتى دعانى للنزول فى شقته حتى تنقضى أيام العيد وهى شقة فى شارع سعد زغلول وتقوم على نظافتها أم زينب، فقبلت دعوته وشكرته وقلت له إننى قابلته مصادفة ولكنها أسعد مصادفة فى حياتى، وتمر الأعوام حاملة عجائبها وعندما أخلو إلى نفسى أتذكر تلك المصادفة التى أثبتت الأيام أنها أتعس مصادفة فى حياتى!

حلم 186

أرانى أسير فى جنازة صديق عزيز ورأيت بين المشيعين

صديقى "ب" بعد غياب سنوات فى الخارج فسلمت عليه وهو واسع الثقافة غير أنه غريب الأطوار ومغرم بالحداثة فى الفنون والحياة وسألته عن حرمه التى كانت تماثله فى كل شئ فأجابنى بأنه طلقها وتوقفت الجنازة أمام المسجد وحُمل النعش إلى الداخل للصلاة عليه ونودى للصلاة بين المشيعين وإذا بصديقى يدخل مع الداخلين فلم أصدق عينى وذهلت ذهولاً شديدا!

حلم 187

عندما رأيت الأنسة "ب" خفق قلبى كما خفق عند أول حب وتابعتها أنهل من عذوبة الحب ولوعة الحرمان ولا أزيد وأرانى مع ابنة أختى وهى تسألنى حتى متى تبقى أعزب يا خالى؟! ورشحت لى الآنسة "ب" زميلتها فى المعهد العالى فأيقنت أن وساطتها جاءت بعد اتفاق مع "ب" واسعدنى ذلك ولكنى شعرت بخوف لا أدرى كنهه ودفعنى للهروب فغيرت طريقى مختفيا حتى سمعت أنها خطبت إلى شاب لائق وأرانى واقفا أمام معرض مصور أشاهد الفتاة مع زوجها فى ثوب العرس فرجعت إلى النهل من عذوبة الحب ولوعة الحرمان ولكن فى إطار من الأمان!

حلم 188

رأيتنى أسير مع الشيخ زكريا أحمد نحو هضبة مغطاة

بحمائل الأزهار وتقف فى مركزها أم كلثوم ووفد أهل الفن الحامولى وعثمان والمنيلاوى وعبد الحى حلمى وسيد درويش ومحمد عبد الوهاب ومنيرة المهدية وفتحية أحمد وليلى مراد وغنت أم كلثوم قائلة سمعت صوتا هاتفا فى السحر وأخذت تكرره حتى ساد القلق بيننا ثم أخذ صوتها ينخفض رويدا رويدا حتى تلاشى وغنت منيرة المهدية قائلة:

ليلة ما جَهْ

فى المنتزَه

يا دوب قعدنا

والكأس فى ايدنا

هف

طلع النهار

وغنى سيد درويش: زرونى كل سنة مرة

حرام الهجر بالمرة

وغنى الشيخ زكريا: يا عشرة الماضى الجميل ياريت تعودى

أما أنا فتلوت الفاتحة!..

حلم 189

رأيتنى وزيراً فى وزارة يرأسها مصطفى النحاس وجعلت أفكر فى مشروع إنشاء مدارس أولية وابتدائية وثانوية بلا مصروفات ولا رسوم للمتفوقين والمتفوقات من أبناء الفلاحين والعمال، على أن نتابعهم بالرعاية فى الجامعة والبعثات، وعرضت الموضوع على الزعيم فرحب به وأضاف إليه تعديلاً أن تخصص تلك المدارس للمتفوقين والمتفوقات من أبناء الأمة كلها وطلب منى أن أقدم المشروع فى مجلس الوزراء القادم ووعد بتأييده.

حلم 190

علمت أن صديقى "ج" معتصم بحجرته ويهدد بالانتحار فانتقلت إلى بيته ووجدت إخوته وأخواته مجتمعين فى الصالة الكبيرة وهو يطل عليهم من الشراعة فى حجرته العليا والحبل يطوق رقبته فقلت له أنت مؤمن والمؤمن لا ينتحر فقال لى: لقد سدت النوافذ فى وجهى إذا قلت لهم تحركوا لا يتحركون وأعلنت عن رغبتى فى أن أموت شهيدا فمنعونى من الخروج فلم يبق لى إلا هذا فقلت لهم دعوه وشأنه فالاستشهاد خير مليون مرة من الانتحار.

حلم 191

قال لى الدكتور "م" إنه يرغب فى الزواج من "ع" ولما كنت جاراً لها وصديقاً لإخوتها فأنا خير من يحدثه عنها وأنا أحب "ع" بدون أدنى أمل فتماسكت وقلت له أما عن جمالها فقاطعنى دع هذا فهو فى متناول عينى وحدثنى عن الأمور الأخرى فقلت له: إنها فى كمالها لا تقل عن جمالها فقبلنى فى رأسى ووجدتنى فى بهو يموج بالكثير من رموز المجتمع وفيه غناء ورقص فسمعت وشاهدت وتوقع قلبى الضربة القاضية.

حلم 192

هذه حديقة الحرية التى تروى أزهارها بدموع العاشقين وأنا أتجول فى جنباتها بين آهات الحب وهتاف المناضلين وقد عاهدت نفسى على أن أزود النسيان عن الحب والنضال.

حلم 193

هذه هضبة الأهرام وهذا هو سير ريدر هجارد فهرعت إليه ورحبت به وقلت له إنه كان فردوس طفولتى وصباى برواياته الفاتنة عن عائشة وكليوباترا وصلاح الدين وكنوز الملك سليمان، ثم سألته عن كنوز الملك ألها أصل فى الواقع أم أنها من صنع الخيال وحده؟ فرأيتنى أسير إلى جانبه فى غابة إفريقية وفى موضع منها أخرج من جيبه مفتاحا وانحنى حتى غاب فى الحشائش وإذا بباب ينفتح عن معرض طويل عريض ملئ بالجواهر وسقطت أشعة الشمس على سبائك الذهب فانعكست نوراً أضاء لى عالم الغيب.

حلم 194

من أمواج الضياء انبثق المرحوم صديقى "ط" فسلمت عليه وقلت له إنه مات فلا نشر له نعى أو أقيم له عزاء مناسب وجاء العمال وأقاموا السرادق ولكن لم يحضر أحد للعزاء ولا جاء المقرئ فصعد صديقى إلى أريكة وتلا بصوت عذب سورة الرحمن.

حلم 195

أعددت المائدة الصغيرة بما لذّ وطاب ولما دقّ الجرس فتحت الباب اندفعت صديقتى إلى الكنبة، وما لبثت أن مآل رأسها على المسند واسترخت ذراعاها فهرعت إليها وربت خديها وجسست رسغيها ثم قلت بفزع يا إلهى إنها ميتة وتخايل لعينى شبح الفضيحة والجريمة ولكنى حملتها بذراعى وسرت إلى المطبخ وألقيتها من النافذة المطلة على فناء المنزل ووقفت أرتجف من رأسى إلى قدمى، وفى ضحى اليوم التالى وجدتنى واقفاً مع بعض السكان وصاحب البيت يحدثنا عن الست التى نقلت إلى المستشفى فقلت إنها ميتة، فقال: كلا والطبيب قال لى: إن الأمل كبير فى إنقاذها والنيابة تنتظر اللحظة المناسبة للتحقيق فعاد يتخايل لعينى شبح الفضيحة والجريمة.

حلم 196

دعانا أستاذنا للغداء وبعد تناول الطعام جلسنا حوله نطرح الأسئلة ونناقش الأجوبة وإذا بالشرطة تقتحم المنزل وتسوقنا إلى المعتقل، حيث مكثنا ستة أشهر دون محاكمة ثم أفرج عنا دون أن نعلم السبب الذى اعتقلنا من أجله وحتى اليوم كلما تذكرت عذاب المعتقل تساءلت عن السبب الذى من أجله اعتقلنا.

حلم 197

بيوتنا تقع على حافة الصحراء وكل بيت له فناء نضع فيه زيراً للمياه العذبة فيدخل العطشان يروى ظمأه ويدعو لنا .. ويوماً اندست عصابة بين الداخلين وهاجمت بيتاً فقتلت وسرقت وهربت فأغلقنا الأبواب ولكن علمنا أنهم يحفرون نفقاً للوصول إلينا وعند إحدى الحفريات تفجر ينبوع ماء وتدفق حتى غطى الصحراء وبشر بالخير العميم وهتف حكيم بيننا أن افتحوا الأبواب وانعموا بحسن الجوار.

حلم 198

كلفنى المنتج السينمائى بكتابة قصة كوميدية فتصورت مدينة يكافح أهلها فى سبيل لقمة العيش ويشقون بما بينهم من خصومات ويعانون الأمراض والحوداث ثم يجئ بعد ذلك زلزال مدمر فيقضى على البقية الباقية منهم ويمحو من الوجود ذكرياتهم فكأنهم لم يوجدوا فضحك المنتج وقال حقا إنك فارس الكوميديا.

حلم 199

رأيتنى أتجول فى حديقة الحيوان مع صديقة ثم جلسنا فى ركن خال بجزيرة الشاى وكلما ترامى إلينا زئير وخوار أو

عواء ازددنا التصاقاً حتى ذُبنا ذوبانا!

حلم 200

قالى لى صديقى "ص" إن قوانين الإصلاح الزراعى أصابت والده بانهيار فى وعيه وهو يريد مقابلة وزير المالية وأنا اخترتك لتمثل دور الوزير بوصفك أعز أصدقائى ووجدت الإقطاعى الكبير فى حال يرثى لها واستقبلنى قائلاً يا معالى الباشا هل حقا ستصادرون أراضينا فنفيت ذلك كلية وقلت له إن هى إلا شائعة أطلقناها لكسب قلوب الناس وعندما خرجنا من السراى شكرنى صديقى وهو يجفف دموعه فقلت له مواسيا: إن كل تقدم فى المجتمع يقتضى ثمناً ولا تنس أنك كنت من دعاة الاشتراكية فقال بحدة: إن الكتابة شىء والتطبيق الفعلى شئ آخر.

حلم 201

ياله من بهو عظيم يتلألا نوراً ويتألق زخارف وألوانا وجدتنى فيه مع إخوانى وأخواتى وأعمامى وأخوالى وأبنائهم وبناتهم ثم جاء أصدقاء الجمالية وأصدقاء العباسية والحرافيش وراحوا يغنون ويضحكون حتى بحت حناجرهم ويرقصون حتى كلت أقدامهم ويتحابون حتى ذابت قلوبهم والآن جميعهم يرقدون فى مقابرهم مخلفين وراءهم صمتا ونذيرا بالنسيان وسبحان من له الدوام.

حلم 202

تأبطت الجميلة الشابة ذراعى ووقفنا أمام بياع الكتب الذى يفرش الأرض بكتبه ورأيت كتبى التى تشغل مساحة كبيرة وتناولت كتاباً وقلبت غلافه ففوجئت بأننى لم أجد سوى ورق أبيض فتناولت كتابا آخر وهكذا جميع الكتب لم يبق منها شئ واسترقت النظر إلى فتاتى فرأيتها تنظر إلىّ برثاء.

حلم 203

رأيتنى أقرأ كتاباً وإذا بسكارى رأس السنة يرمون قواريرهم الفارغة فتطايرت شظايا وينذروننى بالويل فجريت إلى أقرب قسم شرطة ولكنى وجدت الشرطة منهمكة فى حفظ الأمن العام فجريت إلى فتوة الحى القديم وقبل أن أنتهى من شكواى هب هو ورجاله وانقضوا على الخمَّارة التى يشرب فيها المجرمون وانهالوا عليهم بالعصى حتى استغاثوا بى.

حلم 204

رأيتنى مديراً لشئون السينما وجاءتنى الفنانة "ف" تطلب إعفاءها من العمل مع الممثل "أ" فانزعجت وقلت لها إن هذا سيغير الخطة كلها، ولكنها أصرت على موقفها ثم جاءنى الممثل "أ" وطلب منى الضغط عليها فاعتذرت، وراحت هى تقول للوسط الفنى إننى أضغط عليها لتعمل مع الممثل "أ" صديقى على رغم إرادتها وراح يقول إننى

سهلت لها التحرر من العمل لغرض فى نفسى فلعنت اليوم الذى توليت فيه هذا المنصب.

حلم 205

رأيتنى أشاهد دورية من الجنود الأجانب فضربتها بحجر وصعدت إلى السطح وعبرت إلى سطح الجيران وهبطت السلم لأهرب من باب البيت فوجدته مسدوداً بجنود شاهرى السلاح.

حلم 206

رأيتنى أعد المائدة والمدعوون فى الحجرة المجاورة تأتينى أصواتهم أصوات أمى وإخواتى وأخوانى، وفى الانتظار سرقنى النوم ثم صحوت فاقدا الصبر فهرعت إلى الحجرة المجاورة لأدعوهم فوجدتها خالية تماماً وغارقة فى الصمت وأصابنى الفزع دقيقة ثم استيقظت ذاكرتى فتذكرت أنهم جميعاً رحلوا إلى جوار ربهم وأننى شيعت جنازتهم واحدا بعد الآخر.

حلم 207

جلجل الهتاف بالانتخابات فسرت النشوة فى قلب المطرب الشعبى وصاح مرشحاً نفسه فأقبلت عليه الجماهير حتى رفعوه على الأكتاف لنجاحه وطلبوا منه الكلمة فوقف على المنصة وعزف بالربابة وغنى:

حلو يا زين يا صعيدى

اسمك منقوش على إيدى

حلم 208

نجح الأستاذ "ل" فى الانتخابات فذهب إلى أسرته وقال إنه لايشرفه الانتماء لهؤلاء القوم وأنه ينوى الاستقالة فقالت له سيدة: الاستقالة معناها العداوة وسوف ينكّلون بك وبنا فافرح أو تظاهر بالفرح وألق كلمتك فوقف "ل" على المنصة وقال: إن تاريخ مصر يظهر بظهوركم على المسرح وما قبل ذلك فظلام فى ظلام.

حلم 209

وجدتنى مع صديقى "ت" فى حجرة بالفندق واقتحمها علينا بعض الجنود وساقونا لنقف أمام ضابط أجنبى الذى سأل صديقى: لماذا لم يجند؟.. فأجاب: لأنه يرفض الحرب، فأمر بتجنيده وقال لى: إلزم الحجرة فقد تقتضى الظروف تجنيدك رغم شيخوختك!.

حلم 210

رأيتني ضمن المجموعة التي انتُدبت لتقوية الجسور أمام الفيضان الثائر، ونحن كُمَال الوعي بأن أي إهمال أو تراخ يعني اكتساح الفيضان لنا جاراً وراءه المجاعة والفوضى!

حلم 211

هذه مدرسة فؤاد الول الثانوية ، واليوم الاحتفال بوفاء النيل ، وقد ملأ الفناء التلاميذ وأولياء الأمور ، وعلى المنصة جلس الضيوف في مقدمتهم ملكة إنجلترا ، ونحن ـ فرقة الأغاني ـ في الناحية الأخرى .

وقام الخطيب يروي حكاية النيل مع عرائس العذارى منذ القدم ، وحتى أخر عروس ، وهي التي ترك رحيلها لوعة في قلبي لا تنطفئ .

وبعد الخطابة غنينا تواشيح يا زمان الوصل بالأندلس وانفض الاجتماع ، وسارت الملكة نحو الباب ، ولما وضحت معالمها تبينتُ أنها الملكة فكتوريا جاءت تحية للنيل !

حلم 212

الظلم تمادى حتى فاحت رائحة خانقة .. فسافرت مع صحبة إلى حيث يرجم الشيطان ، ولما رجعت صدمتني "الريحة" الخانقة .. وقال الزملا إن لجنة الشر منعقدة في حجرتها وأن مصيرنا يتقرر ، فقمت من فوري إلى الحجرة ،

فوجدتني وجها لوجه مع رئيسها ، وحدجني بنظرة قاسية ، فاستخرجت من جيبي بعض الأحجار ورميته بها ، وغادرت الغرفة .. ودَوَّى انفجار ليصم الأذان

حلم 213

بينما أسير في الطريق إذ رأيت نارا تشتعل في بدروم مخزن الأدوية ، ومع أن النيران لا تهدد بيتي تهديدا مباشرا إلى أنني أبلغت عنها عملا بتعاليم المطافئ ، وبعد فترة وجيزة وصلت سيارات المطافئ وحاصرت النيران ثم أخمدتها وعرفت الأسباب ، وحولت المسؤلين التحقيق.

حلم 214

أسير في الشارع الكبير .. فأرى على بعد صديقي المرحوم وفي صحبته امرأة جميلة ، وسارا نحو المنعطف ، وخطر لي سؤال هل المرأة من دنيانا أم هي روح من العالم الآخر ، وسرت إلى المنعطف لكنني لم أجدهما وبالتالي لم أعرف الجواب ، ومازال السؤال يلح علي.

حلم 215

اليوم أخر العطلة الصيفية .. وفي صباح الغد نسافر إلى القاهرة ،ولكن أسرتي فاجأتني بإعلان عزمها على الإقامة

في الأسكندرية لموامة جوها لصحتهم .. فلم أصدق أذني ولكنها عادت لتأكيد عزمها ..

فقالت لي : اذهب أنت من أجل أعمالك ، وزرنا كل نهاية أسبوع ، وضاع اليوم في جل عقيم وثار غضبي ، وفكرت في أكثر من وسيلة للإنتقام ، ولكني في الصباح حملت حقيبتي إلى التاكسي المنتظر الذي انطلق بي إلى الطريق الصحراوي ، وهنا شعرت بوحشة كما شعرت بأن وحدتي تتفاقم .

حلم 216

على موجة الأشواق في الليلة الغراء ركبت إلى العباسية حيث وجدت نفرا من الأصدقا فرحبوا بي جدا وجلسنا في الحديقة التي شهدت شبابنا الضاحك ودار الحديث بغير ضابط : ماذا عن فلان ؟ .. وفلان ؟ علمي علمك .. وفلان ؟ لا ندري عنه شيئا منذ أن انتقلت أسرته إلى مصر الجديدة منذ نصف قرن ، وذكرنا يوم قامت حركة يوليو ، وأصدقاؤنا من الضباط الذين أصبحو حكاما في غمضة عين وتحدثنا عن وعن وعن إلى آخره ثم ودعتهم في آخر الليل ومشيت نحو الميدان ، وفي وسط الطريق مررت بين مسكنين متقابلين ، أما الأيمن فشهد حبي الأول ، وأما الأيسر فشهد حبي الثاني وجاش صدري وخفق قلبي ، ولولا العجز لبشر

ذلك بمولود رواية جديدة .

حلم 217

رأيتني حائرا في ممر الحديقة حاملا باقة ورد لأحضر عقد قران ، وعند الشرفة نظرت ورأيت عين المعبودة ، فتوقفت ورميت بالورد تحت الشرفة ، وتطلعت إليها فقالت لي إنه تبين لها أن أحدا لا يذكرها سواى ، فجات لتشكرني ، فقلت لها إن حضور لحظة خير عندي من ألف شكر ، فابتسمت وأشارت إلى اليمين واختفت تاركة الشرفة خالية والورد تحتها مبعثرا

حلم 218

اكتظ الفندق بالخلق بلا نقود ولا مواد، فانحشر في كل غرفة أكثر من أسرة، ووجدتني عارياً مع أسرة مكونة من أم وثلاث فتيات وهن عرايا، ولمّا اشتد الحرج حالت الأم بيني وبين بناتها مضحية بنفسها.

حلم 219

أراد رجل الأعمال الإسرائيلي أن يمضي سهرة معنا فطلب من صديقه الخواجة أن يتوسط له ،

حلم 220

رأيتني داخلا محل القاهرة لبيع الأقمشة لأشتري بدلة جديدة ، وهذا محلي منذ الصبا لصداقة صاحبه بوالدي والآن تديره زوجته ، فقدمت لها نفسي وترحمت على والدي وزوجها ، وتساءلت : أين أيام الوفد فقد كان زوجها وأبي يقومان بالدعاية لمرشح الوفد وسألتني ألم توحشك الانتخابات الحرة .. فقلت لها : أمنيتي أن أعيش حتى أشهد انتخابات حرة مرة أخرى .

حلم 221

رأيتني مديرا لإحدى المؤسسات ودخل حجرتي رئيس قطاع وقدم مذكرة لطلب تعيين موظفيين ، ولكني لاحظت أن المدير الحالى لن يؤشرلأن اعتمادات التعيين غير متوافرة فرددتها إليه، وإذا بالحجرة تمتليء بمظاهرة ينذرونني بالموت إذا لم أوقع بالموافقة ، وفى هذه اللحظة الحرجة دخلت قوة شرطة أفضى إليها رجل ذو ضمير بالمكيدة التى دبرها رئيس القطاع ... فساقت المتظاهرين ورئيس القطاع للتحقيق .

حلم 222

الاسكندرية .. بعد طول غياب مع صديقي الدكتور "ص" وطبعا دار الحديث عن السيدة "خ" وتدهورها الصحى ، وقال لي إنه كان يتجنب تذكيري بها حتى لا يسيء إلى عواطفها ، ولكن في اللقاء الأخير قبل وفاتها كلفتني أن أحمل إليك الشكر لطول رعايتها أثناء مرضها ، فعلمت أنك ممن يصنعون الخير ويخفونه كعيب من العيوب .

حلم 223

وجدتني أجاوز الأربعين من عمري ، ورأيت جارة على شيء من الجمال ، فغازلتها واتفقنا على الزواج ، ولكن الأهل لم يجدوا فيها شيئا مناسبا ، فهى في الأربعين وفقيرة ومطلقة ، وتحدث أصحابي عن سوء سلوكها فتراجعت ولكن إخوتها وأقاربها غضبوا وهاجموا شقتنا ونشروا فيها الفزع والتخريب ، فاستنجدنا بالجيران ودارت معركة حامية ثم ذهبوا وهم يتوعدون تاركين وراءهم تلا من الخرائب.

حلم 224

رأيتني ضابط شرطة جديدا ، في طريقه إلى القسم لأول مرة ، وهناك وجدت متهما يحققون معه بعنف دخلت بينه

وبينهم وأنا أقول " الشرطة في خدمة الشعب" . وأخذني الضابط إلى حجرته وقال لي : إنه حقا الشرطة في خدمة الشعب ، ولكنك ينقصك تدريب طويل .

حلم 225

جاء دوري في سلسلة دراسات عن الأدب المعاصر التى يلقيها الأستاذ "ع" في دار الوفد أسبوعيا ، وقد استقبلت بحماس شديد كوفدي قديم ، وألقى الرجل محاضرته وهي فى غاية الروعة ، ولكن بعض الأدباء اتهموه بالتحيز لوفديته ودافع هو عن نزاهة أحكامه ، وشبت معركة وأصابني اعتداء كاد يودي بحياتي .

حلم 226

وجدتني ضمن أعضاء المؤتمر العام المكون من جميع الأحزاب والنقابات والهيئات والجمعيات الأهلية ، ويتبارى الخطباء ، وعند مناقشة القرارات يشتد الجدل والاختلاف ، ويعلن عدد لا يستهان به الانسحاب من المؤتمر ، وأصدرنا القرارات وصفقنا طويلا ولكن آلمني شعور خفي بالخيبة .

حلم 227

دعاني مديري للعشاء في مسكنه ، واستقبلني هو وكريمته

الصحفية ، وكان الطعام عبارة عن ملعقتين من المكرونة ، وتفاحة قسمتها الفتاة ثلاثة متساوية ، وقد ظننت عندما قدم أنه فاتح شهية ، ولكن تبين أنه العشاء كله ، وقالت الفتاة وهي توصلني إلى الباب : أين تمضى سهرتك ؟ فقلت لها : سأبحث عن مطعم لأتناول العشاء.

حلم 228

هذه السيدة هي أستاذة أولادي و إضافة إلى ذلك تحاورهم في شئون الدنيا و الدين ، فمالوا جميعاً إلى التدين ، فقلت للسيدة : إني سعيد بتدينهم و لكني أخشى أن ينحرفوا إلى التطرف . فقالت لي : إن التدين الصحيح أقوى سلاح ضد التطرف .

حلم 229

أخيرا توليت المنصب المرموق وسط زوبعة من الحسد والاعتراضات ، فعاهدت الله على الجد والاستقامة مهما كلفني ذلك من تضحيات ، والواقع أني خسرت كثيرين من الأصدقاء وذوى القربى ، ولم أجد من يعذر أو يقدر ، ولما انتهت مدة خدمتي وجدتني في جزيرة نائية تلطمها رياح

الشماتة وأمواج اللعنات .

حلم 230

دعيت الأحزاب إلى السباق، فأقام كل حزب سرادقه وركب مكبرات الصوت، وراحوا يتسابقون فى إلقاء الخطب، وتحذير الناس من عملاء أمريكا وإسرائيل، واشتدت حرارة الجدل، ثم تبادلت السرادقات إطلاق النار، فلم يعد يسمع إلا صوت الرصاص .

أحلام عيد الميلاد

نشرت هذه الأحلام الستة في جريدة الأهرام .
بمناسبة عيد الميلاد الرابع والتسعين للأستاذ نجيب محفوظ عام 2005

حلم 1

رأيتني أستقبل شقيقتي وهي تقول لي: إنه تقرر أن يتم قرانك الخميس القادم، فذهبت إلى بيت أختي في الميعاد المضروب ، ودخلت بهو المدعوين فقوبلت بتصفيق حاد ، وعند ذاك تذكرت أنني لا أعرف أي عروس ستزف إلي وخجلت أن أسأل أختي . ونظرت إلى المدعوات فوجدتهن ممن أضأن حياتي بنورهن ، ولكن بعضهن ممن تقدمت بهن

السن ، والبعض الآخر ممن فارقن الحياة . فقلت: لا مفر من الانتظار حتى أعرف حظي.

حلم 2

رأيتني أتلقى نبأ مهماً هو أنه تم بناء دار الأوبرا الجديدة ، واصطحبت زملائي وتجولت في أنحائها ، فوجدناها صورة طبق الأصل من الدار التي التهمتها النيران، فقررنا أن نعد عملاً ليوم الافتتاح ، فوضعنا تمثيلية وألفنا الأغاني والألحان ، ولكننا اختلفنا على العنوان ، واشتد الاختلاف حتى تحول إلى معركة هددت سلامة الدار الجديدة. .

حلم 3

رأيتني راجعاً إلى بيتنا وفي حجرتي وجدت أختي في زيارتنا فتصافحنا ، وامتد بصري إلى نافذة الحبيبة التي لم تعد تظهر فيها منذ عام وهو تاريخ زواجها، وتقول لي أختى: لدي خبر لعله يساعدك على السلوان ، فسألتها: ما هو ، فقالت: إن "ع " ماتت وهي تلد أول مولود لها فاجتاحني ذهول وخيمت ظلمات على السماء والأرض .

حلم 4

"رأيتني رقيباً مكلفاً بقراءة مسرحية الأديب "ي" وعنوانها

"الموت" ففي الفصل الأول يدور الحوار بين الموت وجيل الرواد مثل طه حسين والعقاد ، وفي الفصل الثاني يدور الحوار بين الموت وجيلي مثل علي باكثير ومحمود البدوي ، أما الفصل الثالث فكان غنائياً وراقصاً فثمة ذكور وإناث في سن السابعة يرقصون في دائرة توسطها الموت ، وهو يغني: "نصيبك في الحياة لازم يصيبك"

وأجزت عرضها للجمهور".

حلم 5

رأيتني في شارع الأحباب بالعباسية ووجدت سماءها خالية من البدر ، ولكن تسطع ببعض النجوم ، ووجدت الهواء نقيا والماء عذبا على حين ينعم الشارع بهدوء عميق وصوت يغني : زوروني كل سنة مرة !

حلم 6

دعيت إلى مقابلة المرحوم الرئيس السادات ، وهناك أخبرني بأنه قرر تعييني محافظا للإسكندرية ، فأطلعته على حالتي الصحية من ضعف البصر والسمع ويدي اليمنى المشلولة ، ولكنه أصر على رأيه .. ولدى عودتي إلى مكتبي وجدت المرحوم " ش " ابن أختي ، ويقول لي : لا تقلق سأكون العين التي تقرأ وترى والأذن التي بها تسمع واليد التي بها

تكتب ، ولكن لم يزايلني القلق .

ثلاثة أحلام

نشرت هذه الأحلام بمجلة ضاد

بمناسبة العدد الخاص بالأستاذ نجيب محفوظ نوفمبر 2006

الحلم الأول

رأيتني في مستشفى لإجراء بعض التحاليل ، وهناك علمت أن مصطفى النحاس يرقد في العنبر المجاور فذهبت إليه ، وتأثرت لمنظره ، وقلت له سلامتك رفعة الباشا .

فقال : إن المرض الذي أعانيه الثمرة الحتمية لنكران الجميل .

فقلت له : عند الله لا يضيع أجر من أحسن عملا

الحلم الثاني

رأيتني في مدينة غريبة جميلة المعمار ، وكلما دخلت بنسيونا أجده يتكلم لغة عربية ، حتى وصلت إلى بنسيون تديره امرأة زنجية اللون جميلة القسمات والملامح ، فقلت لها : هنا يمكن أن أقول ما أريد وأن أسمع ما يقال ، فقالت لي وأيضا الحياة هنا لا تقل في رقيها عن أحسن البنسيونات

الأخري !

الحلم الثالث

رأيتني فى الطريق فى الهزع الأخير من الليل فترامي إلى سمعي صوت جميل وهو يغني :

زوروني كل سنة مرة !

فالتفت فرأيت شخصا متلتفا في ملاءة تغطيه من الرأس إلى القدمين ، فنظرت إليه باستطلاع شديد ، فرفع الملاءة عن نصفه الأعلى فإذا هو هيكل عظمي ، فتراجعت مذعورا ورجعت وأنا أتلفت ، والصوت الجميل يطاردني وهو يغني :

زوروني كل سنة مرة !

تم بحمد الله تعالى و عونه وتوفيقه

****

